أجاثا كريستي

تحريات باركر باين

Parker Pyne Investigates

1934 م

تأليف

أجاثا كريستى

دار الخلود

للنشر والتوزيع

اسـم الـكـتـاب: تحريات باركر باين
تـأليـف: أجاثا كريستى
الناشـر: دار الخلود للنشر والتوزيع
رقـم الإيـداع: 2014 / 2769
الـتـرقـيـم الـدولـى: 5 - 020 - 758 - 977 - 978

الإشـراف الـعـام: وائـل سميـر

٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة
محمول: ٠١٢٨١٦٠٧١٨٥ محمول: ٠٠٢٠١٠٦٣٥٣٩٩٠٩
فاكس: ٢٥٠٦٩٥٨٢
E-Mail: DAR_AlKHOLOUD@YAHOO.COM

علي ضفاف النيل



كانت ليدي جريل عصبية المزاج منذ ان صعدت علي الباخرة الفيوم وهي تتذمر من كل شيء.. لم تعجبها المقصورة... و كانت الشمس حارقة بعد الظهر.
و كانت ابنة أخيها باميلا جريل تحاول ارضاءها فتنازلت لها عن كابينتها. وعنفت الممرضة مس ماكنوتون لانها ناولتها وشاحا لا ترغب فيه لانها وضعت الوسادة الصغيرة في الحقيبة. وعنفت زوجها سير جورج لانه أحضر لها سبحة غير التي كانت تريدها ولقبته بالغباء.

(آسف جدا يا عزيزتي. آسف جدا. سأذهب لتغييرها. هناك متسع من الوقت.)

لكنها لم تعنف سكرتير زوجها باسيل وست لان ابتسامته كانت تجرد أي شخص من اي سلاح.

لكن القدر الاكبر من سخطها كان من نصيب الدليل. وهو رجل وقور حسن الملابس يبدو هادئا جدا. وعندما رأت شخصا غريبا جالسا في الكرسي القش علي ظهر المركب وتأكدت انه مسافر مثلها انفجرت صارخة:

(لقد قالوا لي بكل وضوح في المكتب اننا المسافرون الوحيدون. قالوا أننا في آخر الموسم ولن يكون هناك مسافرون آخرون)

(هذا صحيح يا سيدتي. انت ومرافقوك وهذا السيد فقط.)

(لكنهم قالوا لي انه لن يكون هناك أحد غيرنا.)

(هذا صحيح يا سيدتي.)

(هذا غير صحيح. هذا كذب. ماذا يفعل هذا الشخص هنا؟)

(وصل متأخرا يا سيدتي. بعد أن حجزتم تذاكركم فقد قرر المجيء هذا الصباح فقط.).(هذا غش.)

(كل شيء سيكون علي ما يرام. أنه شخص هاديء جدا. لن يزعجكم.)

(أنت مغفل ولا تدري أي شيء. مس ماكنوتون؟ أين أنت؟ لقد طلبت منك عدة مرات أن تكوني بجانبي دائما. ربما شعرت بالاغماء. خديني الي المقصورة واحضري لي الاسبرين. ولا تدعي هذا الرجل يقترب مني بعد الان. سوف أجن لو قال لي مرة أخري ان كل شيء علي ما يرام.)

ومدت مس ماكنوتون لها ذراعها دون أن تتكلم. كانت امرأة طويلة تقرب من الخامسة والثلاثين. عليها مسحة من الجمال. ورافقت ليدي جريل الي الكابينة، ووضعت بعض الوسائد وراء ظهرها وأعطتها الاسبرين ثم جلست تنصت الي سلسلة شكاويها.

كانت ليدي جريل تبلغ الثامنة والاربعين. ومنذ ان كانت عمرها ستة عشر عاما وهي تشكو كثرة المال في يدها. وتزوجت البارون الفقير جورج جريل منذ عشر سنوات. وكانت ضخمة وملامحها لا بأس بها لكن وجهها كانت تكسوه التجاعيد التي كانت تزداد وضوحا من كثرة ما تضع من مساحيق. وأما شعرها فكان بلاتيني اللون ثم أصبح أشقر ثم أحمر. وكانت تكثر من ارتداء الحلي.

(ثم قولي لسير جورج ان هذا الرجل يجب أن يغادر المركب فورا.

أريد أن نكون بمفردنا بعد كل المشاق التي عانيناها أخيرا...)

(أمرك يا ليدي جريل.) وخرجت مس ماكنوتون من الكابينة.

وكان المسافر الاخر لا يزال جالسا علي الكرسي القش. كان يدير ظهره للأقصر ويرقب التلال البعيدة علي الشاطيء الاخر.

ووجدت مس ماكنوتون سير جورج في الصالون ممسكا بسبحة اخري يتفحصها باهتمام.

(مس ماكنوتون، هل تظنين أن هذه السبحة توفي بالغرض؟).

(جميلة جدا.)

(هل ستعجب ليدي جريل؟)(لا أظن ذلك يا سير جورج. لا شيء يعجب ليدي جريل. هذه هي الحقيقة. وبهذه المناسبة طلبت مني أن أبلغك أنها تريد منك أن تتخلص من المسافر الجديد.)

(وكيف أستطيع أن أفعل ذلك؟ ماذ يمكنني أن أقول له؟)

(قطعا لن تستطيع. يمكنك أن تقول لها انه من المستحيل عمل شيء الآن وستمر الازمة بخير.) (هل تعتقدين ذلك فعلا؟)

وأجابت السي ماكنوتون بصوت حنون: لا يجب ألا تقلق نفسك بهذه الأمور يا سير جورج. أن صحتها هي السبب كما تعلم. لا تأخذ الامور علي محمل الجد هكذا.) (هل تظنين ان حالتها سيئة؟)

وكانت هناك نبرة غريبة في صوتها وهي تجيب: (نعم. لا تعجبني حالتها علي الاطلاق. لكن أرجوك ألا تنزعج. أرجوك.)

وابتسمت له مشجعة ثم خرجت.

ودخلت باميلا تبدو منتعشة في فستانها الابيض. (هالو) (عزيزتي بام.)

(ماذا تحمل في يدك؟ انها جميلة جدا.)

(أشكرك علي هذه المجاملة. هل تظنين أنها ستعجب عمتك أيضا؟)

(لا يمكن أن يعجبها شيء. أحيانا لا أدري ما الذي دفعك للزواج بها.)

وصمت سير جورج. ومر بمخيلته شريط طويل من سباق الخيل والدائنين، ثم هذه المرأة المسيطرة الثرية.

(أيها العجوز المسكين. أنك أضطررت الي هذا الزواج. لكنها تجعل من حياتنا جحيما. فقط منذ مرضها...)

وقاطعته باميلا: (انها ليست مريضة علي الاطلاق. ويمكنها أن تؤدي أي عمل بنشاط. عندما تركتنا وذهبت الي أسوان كانت مرحة ونشطة كالعصفور. أراهنك أن مس ماكنتون تعرف أنها تمثل علينا.)

وتنهد سير جورج: (لا أعرف ماذا كنا نستطيع أن نفعل بدون مس ماكنوتون.) (امرأة قديرة تماما. ربما لا تعجبني بالقدر الذي تعجبك به. لا تعارضني. أنت معجب بها تماما. تري أنها مدهشة وهي فعلا مدهشة، بطريقة ما. لكنها امرأة غامضة لا يمكن لاحد أن يعرف حقيقة ما يدور برأسها. لكنها تعرف كيف تتصرف مع القطة العجوز.)

(لا يجب أن تقولي هذا عن عمتك يا بام. فهي علي الاقل تحسن معاملتك جدا.)

(طبعا. انها تسدد كل ديوني. لكن علي الرغم من ذلك فالحياة معها جحيم. وغير سير جورج مجري الحديث: (وماذا سنفعل مع هذا الشخص الذي انضم الينا في الرحلة؟ عمتك تريد المركب لها وحدها.

فقالت باميلا ببرود: (لكنها لن تستطيع. الرجل تبدو عليه كل امارات

الاحترام. اسمه باركر باين. أظن أنه كان معروفا بهذا الاسم من قبل.)

ودخل السكرتير في هذه اللحظة فبادرته باميلا: (باسيل. أين سمعت باسم باركر باين من قبل.)

(من الاعلانات في جريدة التايمس. هل أنت سعيدة؟ اذا لم تكوني فاستشيري مستر باركر باين.)

هذا أمر مسل جدا. هلموا نجلس معه ونقص عليه كل مشاكلنا جوردتي وسادتي. نبدأ الرحلة الان. بعد دقائق سنمر بمعابد الكرنك الي ناحية اليمين. ساقص عليكم الان قصة الفتي الصغير الذي ذهب يشتري خروفا مشويا لابيه.)

جفف مستر باركر باين حبات العرق العالقة بجبهته. كان عائدا لتوه من زيارة معبد دندرة. وكان ركوب الحمار متعبا لرجل في مثل حجمه. وكان قد بدأ يبدل قميصه عندما تنبه الي الرسالة الموجودة علي المنضدة. ففضها وقرأها:

سيدي العزيز:

أكون شاكرة لو أنك صرفت النظر عن زيارة معبد أبيدوس وبقيت علي الباخرة لاني أرغب في استشارتك.

المخلصة

أريان جريل

وابتسم مستر باين وأخرج ورقة وقلما وكتب:

عزيزتي الليدي جريل:

آسف. لاني أمضي عطلتي ولا يمكنني أن أقبل أية قضية.

ووقع الخطاب وطلب من أحد الخدم أن يحمله اليها. وما أن غير ملابسه حتي جاء الرد.

عزيزي مستر باركر باين:

أنا مقدرة لظروفك تماما لكني مستعدة أن أدفع مبلغ مائة جنيه لمجرد استشارة. وقطب مستر باين حاجبيه مفكرا. كان يرغب في مشاهدة أبيدوس. لكن المائة جنيه كانت تغريه خاصة وأن مصاريف الرحلة بدأت ترهقه.

وكتب:

عزيزتي ليدي جريل

لن أذهب لزيارة معبد أبيدوس.

باركر باين

المخلص

وحزن الدليل جدا عندما علم أن مستر باركر باين لن يغادر المركب لزيارة أبيدوس. (معبد في منتهي الجمال. كل السياح يودون مشاهدته. سأحضر لك عربة أو كرسيا ويحملك البحارة.)

ورفض مستر باين كل هذه العروض. ورحل الآخرون ووقف مستر باين علي ظهر المركب الي أن فتح باب كابينة ليدي جريل وخرجت منها.

(الحر لا يطاق. لقد قررت عدم الذهاب وهذا قرار حكيم جدا. هل نتناول الشاي سويا في الصالون؟)

وتبعها مستر باين والفضول يستبد به.)

بدا له أن ليدي جريل تجد صعوبة في طرق الموضوع. بدأت تتكلم

عن أشياء مختلفة. الي أن اختلفت نغمة صوتها وقالت: (مستر باين، أن ما سأقوله لك يجب أن يبقي سرا بيننا. أرجوك أن تفهم هذا جيدا.)
(طبعا)

وسكتت. وأخذت نفسا طويلا. وانتظر مستر باركر باين.

(أريد أن أعرف لماذا كان زوجي يريد ان يدس لي السم.)

مهما كان الذي يتوقعه مستر باين فانه لم يتوقع هذا اطلاقا. وبدأ علي وجهه التعجب:

(هذا اتهام خطير يا ليدي جريل)

(أنا لست ساذجة. ولست ابنة الامس. اني أشك في ذلك من وقت طويل. كل مرة يبتعد فيها جورج عني أشعر بشهية للاكل. أشعر اني امرأة مختلفة لابد وأن هناك سببا لذلك.)

(لكن الذي تقوليته كلام خطير. ثم يجب أن تتذكري أنني لست رجل بوليس. انا بمعني أصح خبير في القلوب...)

فقاطعته: (ألا تظن أن هذا يقلقني جدا؟ أنا لا أؤيد أن تتدخل الشرطة في الأمر.. أسمع أنا أعرف جيدا كيف أخاف علي نفسي، مع الشكر.. أنا أريد أن أتأكد فقط. يجب أن أعرف. أنا لست امرأة شريرة يا مستر باين. أنا أحسن معاملة من يحسنون معاملتي. والاتفاق يجب أن يحترم، وقد احترمت ما يخصني منه. لقد دفعت كل ديون زوجي ولم أبخل عليه بالمال.)

وشعر مستر باين بالعطف علي سير جورج.

(أما بخصوص الفتاة فلها الفساتين والحفلات وهذا وذاك. وكل ما

أطلبه الاعتراف بالجميل.)

(الاعتراف بالجميل ليس بالأمر الذي يلبي بالطلب يا ليدي جريل.)

(كلام فارغ. المهم هذه هي مشكلتي فعليك أنت أن تبحث عن الحقيقة. ويوم أعرفها..)

(ماذا سيحدث يوم تعرفينها يا ليدي جريل؟)

(هذا شأني الخاص.)

وسكت مستر باين لحظة ثم قال:

(أرجو المعذرة يا ليدي جريل لكني أعتقد انك لست صريحة معي الي الحد الكافي.).

(لقد قلت لك ما أريدك أن تكشفه لي.)

(نعم. لكن لم تقولي السبب.)

وأطرقت قليلا: (أظن أن السبب واضح بما فيه الكفاية.)

(لا. هناك نقطة مازالت موضع شك.) (وما هي؟)

(هل تريدين أن تكوني شكوكك صحيحة أم غير صحيحة.)

ونهضت ليدي جريل وهي ترتجف حنقا: (مستر باين.. كيف؟)

وهز مستر باين رأسه: (هذا لا يجيب علي سؤالي.)

وبدا أنها لا تجد الكلمات، وخرجت مسرعة من الصالون.

وجلس مستر باركر باين وحيدا وهو يفكر. واستغرق في تفكيره لدرجة أنه انزعج عندما دخل شخص وجلس قبالته. كانت مس ماكنوتون.

سألها مستر باين: (حقا. لقد عدتم مسرعين)

(لم يعد الآخرون بعد. قلت لهم انني أعاني من الصداع ورجعت

بمفردي) وترددت قليلا ثم قالت: أين ليدي جريل؟)

(يخيل الي أنها راقدة في غرفتها.)

(اذن كل شيء علي ما يرام. لا أريدها أن تعرف أنني رجعت.)

(لم تعودي بسببها اذن.) (لا. لقد عدت لاتحدث معك.)

وأدهش ذلك مستر باين. كان يبدو علي مس ماكنوتون انها قادرة علي معالجة مشاكلها بنفسها وبدون حاجة الي نصائح الاخرين. لكنه كان مخطئا.

(لقد راقبتك منذ ان وصلت. اعتقد أنك انسان ذو خبرة واسعة ورأي صائب. وأنا في مسيس الحاجة الي نصيحة.)

(لكن، واعذريني يا مس ماكنوتون، انت لست من الطراز الذي يسأل النصيحة. أعتقد أنك من الافراد الذين يعتمدون علي حكمهم الشخصي.

(في الأحوال العادية، يجوز.. لكنني الان في وضع غريب جدا. اني لم اتعود أن اتحدث عن مشاكلي. لكن في هذه الحالة أعتقد ان ذلك أمر ضرور. عندما تركت انجلترا في صحبة ليدي جريل كانت حالتها واضحة تماما.. بصراحة، لم يكن بها شيء. ليس الي هذا الحد، طبعا، كانت هناك الرفاهية الزائدة، المال الكثير وهذا يسبب ركود شديد. لو كان عليها أن تمسح البلاط مثلا أو ترعي خمسة أطفال لاصبحت في صحة جيدة واكثر سعادة.)

وهز مستر باين رأسه موافقا.

(وخلال عملي كممرضة مرت بي حالات عصبية كثيرة مشابهة. كانت ليدي جريل سعيدة لان صحتها متدهورة. وكان علي ألا أخفف من تهويلها، أقوم بدوري علي الوجه الاكمل ثم اتمتع بالرحلة قدر الامكان.)

(كلام معقول جدا.)

(لكن يا مستر باين الامور لم تعد كما كانت. أن ما تشكو منه ليدي جريل أصبح حقيقة وليس مجرد وهم.)

(ماذا تعنين؟)

(أنا أشك في أن هناك من يدس سما لليدي جريل.)

(ومنذ متي وأنت تشكين في ذلك)

(منذ ثلاثة أسابيع)

(هل تشكين في شخص معين؟)

وخفضت بصرها، ولاول مرة فقد صوتها نبرة الاخلاص: (لا.)

(اذن سأقول لك أنا يا مس ماكنوتون. انت تشكين في شخص معين وهذا الشخص هو سير جورج جريل.)

(لا. لا. لا يمكن ان أصدق هذا عنه. انه كالطفل لا يمكن أن يكون قاتلا.)

(ومع ذلك لاحظت انه كلما كان سير جورج غائبا تحسنت صحة زوجته ولا يعاودها المرض الا عند عودته.)

وصمتت ولم تجب.

(أي نوع من السم تشتبهين. زرنيخ؟)

(زرنيخ أو انتيموني. أو من هذا القبيل.)

(وماذا فعلت حتي الان؟)

(أبذل كل جهدي لاراقب كل ما تأكله وتشربه ليدي جريل.)

(هل تظنين أن ليدي جريل تشتبه في شيء؟)

(لا. قطعا. انها لا تشتبه في شيء.)

(أنت مخطئة. ان ليدي جريل تشتبه في شيء.)

وبدت علي مس ماكنوتون الدهشة.

وأردف مستر باين. (ان ليدي جريل قادرة علي كتمان السر أكثر مما تتصورين.

انها امرأة تعرف كيف ترعي شئونها جيدا.

(ان هذا يدهشني جدا.)

(أريد أن أسألك سؤالا آخر. هل تحبك ليدي جريل؟)

(لم أفكر في هذا الأمر)

وقاطعها محمد وهو يدخل مسرعا: (الليدي سمعت انك عدت وتطلبك. وهي تسأل عن السبب في عدم ذهابك اليها.)

ونهضت السيده ماكنوتون مسرعة. ونهض مستر باين أيضا.

(هل يمكن أن نكمل حديثنا صباح غد في وقت مبكر.)

(نعم سيكون ذلك انسب وقت لان الليدي جريل تنام الي ساعة متأخرة. علي كل حال سوف أكون في منتهي الحذر.)

(وستكون ليدي جريل أيضا في منتهي الحذر)

وأخفت مس ماكنوتون مسرعة.

ولم ير مستر باين ليدي جريل الي ما قبل العشاء. كانت جالسة تدخن وتحرق ما كان يبدو كخطاب. ولم تعره اي اهتمام مما دل علي انها مازالت غاضبة منه.

وبعد العشاء لعب البريدج مع سير جورج وباميلا وباسيل. ولكن الجميع كانوا مشتتي الذهن وانتهي اللعب مبكرا.

وبعد بضع ساعات جاء محمد ليوقظ مستر باين: (السيدة العجوز

مريضة جدا. والممرضة خائفة عليها. سأحاول احضار طبيب).وارتدي مستر باين ملابسه بسرعة ووصل الي باب كابينة ليدي جريل في نفس الوقت مع باسيل وست. كان سير جورج وبميلا بالداخل وكانت السي ماكنوتون منهمكة مع مريضتها. وعند وصول مستر باركر باين كانت السيدة المسكينة في النزع الاخير. تقلص جسدها وتصلب مرة ثم ارتخي علي السرير.

وأخذ مستر باين باميلا من ذراعها واقتادها خارج الكابينة.

كانت الفتاة علي وشك البكاء: (انه لمريع. مريع. هل.. هل..؟)

ماتت؟ أخشي ذلك.)

وتركها في رعاية باسيل. وخرج سير جورج من الكابينة كالمشدوه.

(لم أظن انها مريضة بالفعل. لم اظن ذلك أبداً. ولا لدقيقة واحدة.)

ودخل مستر باين الي الكابينة. كان وجه السيده ماكنوتون أبيض شاحب.

وسألته: (هل أرسلوا في طلب طبيب؟)

(نعم. ستريكنين؟)

(قطعا. التقلصات تدل علي ذلك. يا الهي. لا يمكنني أن أصدق ما حدث.)

وانهارت علي الكرسي وهي تبكي. وربت مستر باين علي كتفها.

ثم خطر خاطر. خرج مسرعا من الكابينة وهرع الي الصالون. كان في منفضة السجائر جزء صغير من الورقة لم يحترق تماما وظهرت عليه بضع كلمات: (قرص الاحلام.. أحرقي هذا).

وغمغم مستر باين: (هذا فعلا مثير للاهتمام.)

كان مستر باين جالسا مع أحد أصدقائه في القاهرة (اذن هذا هو الدليل.)

(نعم. بالكامل. يظهر أن الرجل كان مغفلا تماما.)

(لا يمكن ان أصف سير جورج بالذكاء علي أية حال.)
(ليدي جريل طلبت قدحا من الكاكاو. واعدته لها الممرضة. ثم عادت وطلبت الشيري ليضاف اليه واحضر سير جورج الشيري. وبعد ساعتين ماتت ليدي جريل متسممة بالستريكنين. في كابينة سير جورج وجدنا لفافة ستريكنين ولفافة أخري في جيب سترة السهرة التي كان يرتديها.)
(دقيق للغاية. ومن أين جاء بالستريكنين؟)
(هناك بعض الشك حول هذا. كانت في حيازة الممرضة كمية منه تحتف بها من أجل ليدي جريل اذا دعت اليه حالتها. لكنهن عارضت اقوالها مرتين. قالت أولا ان رصيدها لم ينقص ثم عادت وقالت انه ناقص.)
وعلق مستر باين علي هذا بقوله: (غريب منها الا تكون متأكدة.)
(في رأيي ان الاثنين كانا متفقين علي المؤامرة. هناك نوع من التعاطف بينهما أيضا.)
(من الجائز. لكن اذا كانت مس ماكنوتون تنوي قتلها فقد كان في امكانها أن تقوم بالعملية بطريقة أفضل من هذا بكثير. انها علي قدر كبير من الكفاءة.)
(لكن الموقف أمامك واضح. اعتقد أن سير جورج قد تورط ولن ينقذه شيء.)
(حسنا غير اني سأري ماذا أستطيع ان أعمل.)
(لا يمكن أن يكون هو القاتل. لا يمكن أبدا أبدا. وذهب مستر باين يسأل باميلا. كان وجهها شاحبا: (اذن من الذي فعلها؟)
واقتربت منه باميلا: (هل تعرف من الذي فعلها؟ هي التي قتلت نفسها. كانت تصرفاتها بادية الغرابة مؤخرا. كانت تتخيل أشياء كثيرة.)

(أي أشياء؟)

(أشياء غريبة. باسيل مثلا. كانت دائما تلمح انه يحبها. مع أن باسيل وأنا..)

(نعم. لقد لاحظت ذلك.)

(لكن ذلك كله كان في مخيلتها. كانت تريد أن تنتقم من جورج المسكين. فاخترعت القصة التي حكتها لك، ووضعت السم في كابينته وجيبه ثم سممت نفسها.

(مثل هذه الاشياء حدثت من قبل، أليس كذلك؟)

(لكني أشك أن ليدي جريل انتحرت.. لم تكن من النوع الذي يقدم علي ذلك.)

(وماذا عن أوهامها وتخيلاتها.)

(أحب أن أسأل مستر وست عن هذه التخيلات.)

كان مستر وست في غرفته. واجاب علي اسئلته كلها.

(لا أريد أن أتباهي ولكنها كانت مغرمة بي. لذلك لم أجرؤ علي أن أخبرها عن العلاقة التي قامت بيني وبين باميلا. كان يمكنها أن تأمر سير جورج بأن يفصلني من عملي.)

(وهل تظن أن نظرية باميلا صحيحة؟)

(أظن أنها محتملة.) لكن صوته كان ينم عن الكثير من الشك.)

(لكن ليس بالقدر الكافي. يجب أن نجد حلا معقولا أكثر.)

وصمت مفكرا حوالي دقيقتين ثم قال فجأة:

(أعتقد ان الاعتراف هو خير وسيلة.)

وأخرج ورقة وقلما وقدمهما له: (ويستحسن أن تكتبه بنفسك.)

(انا بالله عليك ماذا تعني؟)

وقال مستر باين برفق يكاد ليشبه الحنان الأبوي:

(اسمع يا عزيزي. أنا أعرف كل شيء. كيف كنت تبادلها الحب. ثم كيف بدأت هي تشك. ثم أحببت الفتاة الصغيرة الفقيرة. كيف دبرت مؤامرتك. السم البطيء. ممكن أن يمر الحادث علي أنه اضطراب في الامعاء. واذا لم يثمر هذا، اذن فيمكن توريط سير جورج في التهمة وخاصة وانك دبرت توقيت الازمات لتتفق مع وجود سير جورج.)

ثم اكتشفت انها قالت لي عن شكوكها. ولزمك العمل السريع. سرقت الستريكنين من مس ماكنوتون. وضعت جزءا منه في كابينة سير جورج وفي جيب سترته.

ثم وضعت الباقي في قرص وارسلته اليها مدعيا انه (قرص الأحلام). (فكرة رومانتيكية. تناولت القرص بمجرد ان غادرتها الممرضة. وكنت أنت متأكدا انه لن يعلم بالامر مخلوق آخر. لكنك ارتكبت خطأ واحدا. من الغباء ان تطلب من امرأة ان تحرق الخطابات. لن يفعلن ذلك أبدا. وانا عندي كل خطاباتك لها بما فيها ذلك الذي احتوي علي قرص الاحلام).

كان وجه باسيل وست قد اكفهر تماما وبدا كفار في مصيدة.

(لعنك الله. اذن انت تعرف كل شيء أيها الفضولي الملعون).

وأنقذ مستر باركر باين من الاعتداء تدخل الشهود الذين كان قد استدعاهم احتياطيا وكانوا واقفين يستمعون خلف الباب.

وكان مستر باين يناقش القضية مرة أخري مع صديقه.

(لم يكن لدي دليل سوي بقايا الخطاب المحترق خمنت. القصة

وجربتها معه. ونفعت الحيلة. جاءت الحقيقة هذه المرة مصادفة. بفضل قصة الخطابات طبعا ليدي جريل كانت قد حرقت جميع الخطابات، لكن باسيل لم يعلم ذلك.

(كانت قطعا سيدة غريبة. كنت حائرا جدا عندما أتت الي تستشيرني كل ما كانت تبغي ان أقوله لها هو ان زوجها كان يدس لها السم. وفي هذه الحالة كانت ستهجره وتذهب مع وست. لكنها أرادت أن تعرف أولا).

(لكن الفتاة المسكينة هي التي ستتعذب).

(سوف تتغلب علي آلامها. سنها صغير. ما أتمناه هو أن يستطيع سير جورج ان يمتع نفسه قليلا قبل أن تتقدم به السن. طيلة السنوات العشر الماضية وهو يعامل كحشرة. أنا متأكد أن السيده ماكنوتون تستطيع اسعاده).

وابتسم ثم تنهد قائلا: (سأذهب متنكرا الي اليونان. فربما أتاح لي تنكري ان أتمتع بعطلتي).





مشكلة جندي ضايقه الملل

أتردد الميجور ولبراهام امام باب مكتب مستر بار كر باين ليقرأ ربما للمرة العاشرة الاعلان المنشور في الجريدة الصباحية، و كان الاعلان بسيطا:
(هل أنت سعيد؟ ان لم تكن سعيدا فاستشر مستر بار كرباين، ٧١ شارع ريتشموند).

وأخذ الميجور نفسا طويلا ثم اندفع داخل الباب الي المكتب الخارجي. ونظرت اليه الفتاة الجالسة علي الآلة الكاتبة مستفسرة.
وقال الميجور ولبراهام وقد احتقن وجهه (أريد مقابلة مستر باركرباين).
(تفضل من هنا).
وتبع الفتاة داخلا الي مكتب داخلي يجلس فيه مستر باركر باين: أنيسا بشوشا.
(أهلا وسهلا. تفضل.. ألا تجلس.. والآن أية خدمة يمكنني ان أؤديها لك؟)
(اسمي ولبراهام)

(ميجور؟ أم كولونيل؟)

(ميجور.)

(وعائد لتوك من مهمة في الخارج؟ الهند؟ أفريقيا الشرقية؟)

(افريقيا الشرقية).

(اعتقد أنها مكان جميل. حسنا. ها أنت قد عدت الي الوطن وذلك لا يعجبك أليس هذا ما يضايقك).

(هذا هو ما يضايقني بالضبط. ولكن كيف عرفت انت ذلك...)

وأشار مستر باركر باين بيده مقاطعا: (ان مهمتي أن أعرف. لقد قضيت خمسة وثلاثين عاما من عمري أجمع الاحصائيات في احدي الادارات الحكومية. والآن وقد احلت الي التقاعد خطر لي ان أستفيد من خبرتي بطريقة جديدة. والأمر في منتهي البساطة. يمكن تقسيم التعاسة الي خمسة أبواب لا أكثر! صدقني! ومتي عرف سبب الداء فان علاجه لا يصبح مستحيلا. أني أضع نفسي مكان الطبيب. وأول شيء يقوم به الطبيب هو تشخيص علة المريض، ثم يصف له العلاج الملائم... طبعا هناك حالات لا يجدي معها أي علاج. وعندئذ أقول بكل صراحة أنه ليس هناك أمل في الشفاء. ولكنني اذا قبلت قضية كان معني ذلك ان علاجها شبه أكيد).

وقال الميجور: (أن كل ما تقوله صحيح.. كل ما يضايقني هو الملل... نعم الملل والثرثرة التي لا تنتهي عند المسائل التافهة التي تجري في القرية. لكن ماذا أستطيع أن أفعل حيال ذلك؟

عندي بعض المال الي جانب المعاش. عندي كوخ لطيف في

ضاحية كوبهام. لكني لا أمتلك امكانيات الصيد والقنص. لست متزوجا. كل جيراني أناس طيبون لكن ادراكهم لا يتعدي حدود الجزر البريطانية).

(تعني باختصار انك تجد الحياة مملة).

(مملة الي درجة شنيعة).

وأنت تحب الاثارة. ربما المخاطر أيضا).

وهز الجندي كتفيه: (لا يوجد شيء من هذا القبيل في بلادنا الصغيرة هذه).

فقال مستر باركر باين في لهجة جدية:

.(مهلا.. انت مخطيء في هذا. هناك كثير من الاخطار... كثير من الاثارة.. هنا في لندن بالذات اذا كنت تعرف أين تلتمسها. انت لم تر الحياة الانجليزية الا من سطحها الخارجي... هادئة، رتيبة، سهلة! لكن هناك الجانب الآخر منها. واذا أردت فيمكنني ان أكشف لك هذا الجانب الآخر).

وحدق فيه الميجور ولبراهام بتمعن. كان هناك شيء يبعث علي الثقة بمستر باين هذا. كان ضخما في غير بدانة، وكان أصلع، ذا ملامح أرستقراطية.... وعلي عينيه الدقيقتين الحانيتين نظارة طبية سميكة... ومظهره العام يوحي بأنه شخص يمكن الاعتماد عليه.

وقال مستر باين: (لكن يجب أن أقول لك، محذرا، ان هناك عنصر المخاطر في الموضوع).

وبرقت عينا الميجور: (وهذا ما يلائمني).

ثم أضاف باقتضاب: وأجرك عن هذه العملية؟)

وقال مستر باين: (اجري هو خمسون جنيها. تدفع مقدما. واذا وجدت نفسك خلال الشهر لا تزال في نفس حالة الملل أعدت المبلغ اليك).

وفكر ولبراهام لحظة ثم قال:

(هذا يبدو معقولا. ساحرر لك شيكا الآن).

وتم تبادل الشيك والايصال وضغط مستر باين علي زر الجرس الموجود فوق مكتبه.

ثم قال:

(الساعة الان الواحدة. سأطلب منك ان تصحب فتاة الي الغداء).

وفتح الباب في هذه اللحظة فهتف باين: (عزيزتي مادلين. دعيني أقدم لك الميجور ولبراهام الذي سيصحبك الآن للغداء).

وتفرس ولبراهام في وجه الفتاة بدهشة، وهو أمر لم يكن غريبا علي الاطلاق...

كانت سمراء طويلة، ذات عينين أخاذتين، واهداب سوداء طويلة. فاتنة الوجه، وفمها مكتنز وشفتاها قرمزيتان، ثوبها الانيق يكشف رشاقة قوامها.

كانت رائعة من رأسها حتي قدميها!

وغمغم الميجور ولبراهام: (انا سعيد جدا..)

وقدمها له مستر باركر باين: (الآنسة دي سارا).

وقالت مس دي سارا بصوت خفيض:
(انه تلطف منك ان تدعوني للغداء).
وقال مستر باركر باين: (لدي عنوانك هنا. وسوف تصل اليك تعليمات أخري مني صباح غد).
وغادر الميجور ولبراهام المكتب وفي صحبته مادلين الجميلة الفاتنة.
كانت الساعة قد بلغت الثالثة عندما عادت مادلين الي المكتب.
ونظر اليها مستر باركر باين مستفسرا: (ماذا حدث؟)
وهزت مادلين رأسها:
(أنه متوجس مني جدا.. يظن اني امرأة لعوب).
(هذا ما توقعته تماما. هل نفذت التعليمات؟)
(أجل. اخذنا نتحدث عن رواد المطعم الآخرين.. وعرفت ان ما يروقه في المرأة هو ان تكون شقراء، ذات عينين زرقاوين رقيقة البنية، وغير مفرطة في الطول).
قال مستر باين: (هذا أمر ليس بالعسير. أحضري لي ملف ب ولنفحص ما لدينا من قوائم في الوقت الحاضر؟)
ومر بأصبعه علي القائمة حتي توقف عند اسم معين.
(فريدا كليج. أجل. أظن أن فريدا كليج تستطيع أن تؤدي المهمة. يستحسن ان أحادث مسز اوليفر بشأنها).
وفي اليوم التالي تسلم الميجور ولبراهام مذكرة بالبريد تقول:
(في يوم الاثنين القادم، الساعة الحادية عشرة توجه الي

ايجلمونت، شارع فرايز لين في حي هامستيد، وأسأل عن مستر جونز. قدم نفسك اليه علي انك من طرف شركة جوفا للملاحة).

ونفذ الميجور ولبراهام التعليمات... وفي يوم الاثنين، وكان يوافق يوم عطلة رسمية، توجه الي العنوان المذكور. ولكن قبل ان يصل اليه حدث شيء.

في هذا اليوم بدأ أن كل المتزوجين علي ظهر الارض كانوا في طريقهم الي هامستيد، فاختنق الميجور ولبراهام، اوكاد، في زحام قطار الانفاق. ووجد من الصعب عليه أن يهتدي الي البيت الذي يقصده في فرايزلين.

وفرايزلين هذه كانت عبارة عن زقاق مسدود... طريق مهجور مملوء بالركام، وعلي جانبيه منازل ترتد مسافة الي الوراء بعيدة عن الطريق. وكانت البيوت كبيرة المساحة لكن في حالة يرثي لها. ومضي ولبراهام يحاول جاهدا أن يقرأ الاسماء التي كادت تنمحي عندما سمع شيئا جعله يتسمر في مكانه. صوت ضعيف متحشرج، نصف مختنق صادر من مكان قريب.

وسمع ولبراهام الصوت مرة أخري، واستطاع بجهد أن يميز الكلمة: (النجدة) وبعد تردد لم يزد علي لحظة دفع الميجور ولبراهام الباب وجري نحو مصدر الصوت. وهناك وجد فتاة تقاوم يائسة رجلين ضخمين. كانت تناضل بشجاعة تتلوي بجسدها وتركل بقدميها. وكان احد الرجلين يكمم فمها بيده بينما هي تحاول جاهدة ان تخلص رأسها من قبضته.

ولم يلحظ أحد منهما ولبراهام وهو يقترب منهما لانهماكهما في المعركة مع الفتاة لتطرحها ارضا. وكانت المفاجأة كفيلة بأن تجعل الآخر يتخلي عن الفتاة ويستدير نحو ولبراهام. لكن ولبراهام كان متهيئا له. وفي لمح البرق هوت قبضته علي فكه فانطرح هو الآخر أرضا. واستدار ولبراهام نحو الرجل الاول.

لكن ابدا انهما قدرا الموقف فاندفعا الواحد تلو الآخر نحو باب الحديقة. وبدأ ولبراهام يجري خلفهما، لكنه عاد فاستدار نحو الفتاة التي كانت تقف مستندة الي شجرة.

وقالت الفتاة وهي تبكي: (أشكرك. أشكرك جدا. انه أمر فظيع).

ونظر ولبراهام لاول مرة الي الفتاة التي انقذها لتوه. كانت تبدو في الحادية والعشرين... ذات شعر أشقر، وعيونها زرقاء، وكانت شاحبة اللون، ولكنها جميلة.

واضافت الفتاة: (تري ماذا كان يمكن أن يحدث لو لم تصل انت).

وأخذ الميجور ولبراهام يطمئنها: (لا عليك. كل شيء علي ما يرام الان. لكن يستحسن أن تنصرفي فربما عاد هذان المجرمان).

وابتسمت الفتاة ابتسامة شاحبة: (ما أحسبهما سيجروءان علي العودة أعني بعد مانالاه علي يديك. لقد كنت غاية في الروعة).

وكانت نظرة الاعجاب التي شملته بها الفتاة كفيلة بأن تجعل الميجور ولبراهام يحمر خجلا:

(اطلاقا... هذا شيء بسيط. يحدث كل يوم... فتاة يضايقها الرجال هل تستطيعين السير؟ يمكنك أن تتأبطي ذراعي.

(انا بخير الآن) قالتها الفتاة ومع ذلك تأبطت ذراع ولبراهام. كانت مازالت ترتجف قليلا. ونظرت خلفها الي المنزل الذي هوجمت في حديقته.

(لا أستطيع أن أفهم. من الواضح أن هذا المنزل خال ومهجور تماما).

وأخذ الميجور يتفحص المنزل ونوافذه المغلقة ومنظره المقبض المهجور.

وقالت الفتاة: (ومع ذلك فهذا هو هوايت فرايرز... انه الاسم الموجود علي المدخل. وهذا البيت الذي كنت أقصد اليه.

(لا تفكري في هذا الان. دعينا نستقل تاكسيا ونذهب الي مشرب نتناول فيه قدحا من القهوة).

ووصلا الي شارع مطروق واستقلا تاكسي.

(لا تحاولي أن تتكلمي الآن... فقط استرخي واستريحي. لقد مرت بك تجربة عصيبة).

وابتسمت له بامتنان.

(وبالمناسبة. اسمي ولبراهام).

(وانا أسمي كليج. فريدا كليج).

وبعد عشر دقائق كانت فريدا تحتسي القهوة وهي تنظر شاكرة في وجه منقذها. قالت: (كل هذا يبدو لي كحلم.. كابوس. منذ فترة وجيزة كنت أتمني ان يحدث شيء اي شيء. لكني لا أحب المغامرات).

(احكي لي كيف حدث لك)

(لكي أقص عليك هذا أخشي أنه يجب أن أتكلم كثيرا عن نفسي).

فقال ولبراهام وهو يحني رأسه: (هذا موضوع شائق للغاية).

(اني يتيمه. كان والدي قبطان سفينة ومات وانا في الثامنة أما أمي فماتت هي أيضا منذ ثلاث سنوات. وأنا أعمل في المدينة. موظفة في شركة الغاز. وفي الاسبوع الماضي وجدت عند عودتي الي منزلي شخصا في انتظاري قال لي انه محام... مستر ريد من ملبورن.

(كان الرجل غاية في الادب. سألني كثيرا عن عائلتي. وقال انه كان يعرف أبي منذ سنوات بعيدة. وكان يقوم له ببعض الاعمال القانونية. ثم كاشفني بسبب زيارته. قال انه من المحتمل أن أظفر بشيء من المال نتيجة بعض المعاملات المالية التي قام بها ابي قبل أن يموت بعدة سنوات. طبعا اندهشت جدا لهذا.

(فقال لي انه ليس من المستبعد الا اكون قد سمعت اي شيء من هذا القبيل لان ابي لم يكن يهتم الي هذا الحد بالمعاملات المالية. لكن الامور تطورت بشكل غير متوقع. ثم قال أيضا انه لكي احصل علي ما يخصني، يجب أن تكون في حوزتي اوراق معينة هي جزء من تركة والدي. ثم سألني اذا كنت احتفظ بهذه الاوراق.

(قالت له أن والدتي علي ما اذكر وضعت كل ما يخص أبي في صندوق كبير. وقد قلبت محتوياته لكني لم أجد شيئا يثير الانتباه. فقال انه من المحتمل ان لا تلفت نظرك تلك الاوراق لان منظرها لا يدل اطلاقا علي أهميتها.

(أحضرت له الاوراق التي وجدتها في الصندوق. فقال أنه يجب أن

يدرسها بامعان ليعرف ما اذا كانت متعلقة بالتركة أم لا. ثم قال أنه سيتصل بي اذا ما جد شيء.

وفي يوم السبت الماضي جاءني منه خطاب يطلب مني فيه الحضور الي منزله لنبحث الامر. واعطاني العنوان: البيت المعروف باسم فرايرز، فرايرزلين هامستيد. وكان علي أن أقابله هناك في الساعة الحادية عشرة الا ربعا هذا الصباح.

(وتأخرت كثيرا وأنا أبحث عن المنزل حتي اهتديت اليه. وما ان دلفت من المدخل وسرت في الحديقة تجاه المنزل حتي هاجمني هذان الشخصان. غطي احدهما فمي. لكني استطعت أن أخلص رأسي من قبضته لحظة صرخت فيها اطلب النجدة... من حسن حظي انك سمعتني. ولولاك...).

وصمتت. لكن عينيها كانتا تعبران عن أحاسيسها بطريقة أبلغ من الكلام.

(انا سعيد جدا لاني كنت مارا في هذا الوقت. ليتني استطيع أن أضع يدي علي هذين الوغدين.

هل انت متأكدة من انك لم تريهما من قبل؟).

فهزت رأسها بالنفي وسألته: (ما معني ذلك؟)

(من العسير ان نعرف هذا. وكان من المؤكد ان هناك شخصا يحتاج شيئا معينا موجودا في اوراق والدك. واعتقد ان هذا الشخص خدعك بقصة ملفقة ليضع يده علي الاوراق. والظاهر انه لم يعثر علي ضالته).

هذا عجيب فعند عودتي الي المنزل يوم السبت. ظننت ان هناك من عبث بامتعتي. وقد ظننت انها صاحبة المنزل المعروف بشدة فضولها. لكن الآن...)

(هذا علي الأرجح ما حدث. تمكن أحدهم من الدخول الي غرفتك وفتشها، دون أن يجد ما يبحث عنه. والظاهر انه رجح انك تعرفين اهمية هذه الاوراق ايا كانت، وانك تحملينها معك أينما ذهبت. فاستدرجك الي هذا المكان..

وشهقت فريدا: (لكن بالله ماذا يمكن أن يكون في هذه الاوراق؟)

لا أدري.. لكن من الواضح انها تهمه جدا والا لما لجأ الي مثل هذه الاساليب).

(لكن هذا الامر يبدو بعيدا عن التصديق).

ولماذا؟ لقد كان والدك بحارا. سافر الي أماكن مختلفة وبعيدة. وربما كان قد وقع علي شيء ثمين يدر قيمته اذ ذاك).

(هل تعتقد هذا حقا؟).

(بكل تأكيد. السؤال الآن هو ما هي خطوتنا التالية؟ لا أعتقد انك تريدين ابلاغ البوليس؟)

(لا... أرجوك).

(حسنا. أعتقد ان ابلاغ البوليس لن يفيدنا بشيء وقد يسبب لك بعض المضايقات).

دعينا الآن نتناول الغداء في مكان ما ثم اصطحبك بعد ذلك الي منزلك حيث نحاول، مرة أخري، البحث عن هذه الأوراق.

اني متأكد من وجودها في مكان ما).

(ربما يكون أبي قد أعدم هذه الأوراق بنفسه).

هذا جائز، لكن الآخرين لا يعتقدون هذا. وربما كان هناك بعض الامل في العثور عليها).(هل تعتقد أن هذه الأوراق قد ترشدنا إلي كنز مخبأ؟)

وصاح الميجور ولبراهام في حماس: (بحق السماء... ربما... لكن الآن دعينا نذهب للغداء).

كان الغداء شهيا. واخذ ولبراهام يقص علي فريدا تفاصيل حياته في شرق افريقيا. وبعد الغداء اصطحبها الي منزلها في تاكسي.

كانت تقطن بالقرب من ضاحية نوتنج هيل جيت. وعند وصولهما تحدثت فريدا مع صاحبة المنزل برهة ثم صحبت والبراهام الي الطابق الثاني حيث كانت تقيم في شقة صغيرة.

قالت له: (الظاهر أن الامر كما ظننا تماما. فقد جاء شخص هنا صباح السبت وذكر لصاحبة المنزل أن هناك عيبا في توصيلة الأسلاك الكهربائية في شقتي. وأمضي بها بعض الوقت).

(دعيني أري صندوق والديك).

وقدمت فزيدا الصندوق اليه قائلة: (انه فارغ كما تري. واني متأكدة من انه لا توجد اية أوراق في مكان آخر. لقد كانت أمي تحتفظ بكل شيء هنا).

وفحص ولبراهام الصندوق بامعان. وبعد برهة صاح متعجبا: (هناك شق في بطانة الصندوق).

وادخل يده برفق في الشق وأخذ يتحسس داخله حتي اصطدمت أصابعه بشيء. فأخرجه بحرص شديد. كان عبارة عن ورقة قذرة مطوية عدة مرات. وبسطها ولبراهام بعناية علي المنضدة بينما أخذت فريدا ترقبه باهتمام شديد. ثم ما لبثت ان صرخت في أسي: انها لا تحتوي الا علي علامات غريبة).

لا. أنها مكتوبة باللغة السواحلية. عجبا انها لغة الوطنيين في شرق أفريقيا).

قالت فريدا: (شيء عجيب حقا. وهل تستطيع قراءتها؟)

(الي حد ما). واقترب من النافذة ليقرأ الورقة في الضوء.

وسألته فريدا في انفعال: (هل تحتوي علي شيء؟)

وقرأ ولبراهام الورقة مرتين، ثم قال: (ها هو كنزك المخبأ).(كنز مخبأ؟ أصحيح هذا؟ ذهب... وأشياء أخري؟).

لا. ليس هكذا تماما. الورقة تشير الي مكان يوجد فيه كمية كبيرة من العاج.

(العاج؟)

(نعم. انك تعلمين ان هناك قانونا يحدد عدد الافيال التي يمكن اصطيادها. والظاهر أن أحد الصيادين خالف علي نطاق واسع. ويبدو ايضا ان السلطات كانت تتعقبه فخبأ ثروته من العاج في مكان ما. كمية ضخمة من العاج... وهذه الرقعة تحدد مكانه بالتقريب. اسمعي. يجب ان نذهب معا للبحث عنه).

(اتعتقد ان هذا سوف يدر علي الكثير من المال).

(هناك ثروة لا بأس بها في هذه العملية).

لكن كيف استطاع أبي الحصول علي هذه الورقة؟).

وهز ولبراهام كتفيه: (ربما حضرت الوفاة الصياد، أو شيئا من هذا القبيل. فكتب هذه الورقة باللغة السواحلية ليبعد عنها المتطفلين واعطاها لوالدك الذي كان صديقا له علي الارجح. ولما كان والدك لا يستطيع قراءتها فانه لم يعرها اي اهتمام. هذا طبعا مجرد تخمين ولكنه، علي ما اعتقد، قريب جدا من الصواب).

(اعتقد أن هذا مثير لدرجة الجنون).

(المهم الآن هو ما نفعله بهذه الورقة الثمينة. من المستحسن ألا نتركها هنا. ربما يعودون للبحث مرة اخري.. هل تثقين بي الي درجة تجعلك تتركينها معي؟)

(طبعا اثق فيك. لكن، ألست تعرض نفسك للخطر لو احتفظت انت بها؟).

(اني رجل شديد المراس. لا تخشي شيئا).

وطوي الورقة بعناية، ووضعها في محفظته. (هل يمكنني أن أحضر لرؤيتك مساء غد؟ ربما أكون قد فكرت في خطة ما، وبحثت عن المكان المذكور في الخرائط الموجودة عندي. في أي وقت تعودين من عملك؟)

(حوالي السادسة والنصف).

(عظيم. سنعقد مؤتمرا صغيرا انت وانا، وقد تسمحين لي بأن ادعوك للعشاء. يجب أن نحتفل بهذه المناسبة. الوداع اذن والي اللقاء

غدا).في تمام السادسة والنصف من اليوم التالي كان ولبراهام يدق الجرس الخارجي للمنزل الذي تقطنه فريدا كلينج. وفتحت الباب خادمة واخبرته ان مس كليج في الخارج.

(اذن سأعود بعد فترة).

ومضي يتلكا في الشارع خارج المنزل مؤملا ان يراها عند عودتها. ومضي الوقت.. السابعة.. السابعة والربع... ولا أثر لفريدا. واستبد به القلق. وعاد الي المنزل ودق الجرس من جديد. وفتحت له الخادمة مرة أخري.

(اني علي موعد مع مس كليج. هل انت متأكدة أنها لم تحضر؟ أو حتي لم تترك لي رسالة؟).

(هل انت الميجور ولبراهام؟)

(نعم).

(هناك رسالة لك).

ومزق ولبراهام غلاف الرسالة علي عجل. وقرأ:

عزيزي الميجور ولبراهام:

حدث شيء غريب. لا أستطيع الكتابة أكثر من هذا الان. هل يمكنك الحضور فورا الي هوايت فرايرز بعد أن تقرأ هذا؟

المخلصة: فريدا كليج

وقطب ولبراهام حاجبيه وهو يفكر بسرعة. واخرج خطابا من جيبه بلا وعي. وكان معنونا الي ترزيه الخاص. وسأل الخادمة: (هل أجد عندك طابع بريد؟).

ودخلت الخادمة الي المنزل وعادت بعد برهة ومعها الطابع. ونقدها ولبراهام ثمنه، ثم سار في اتجاه محطة قطار الانفاق بعد أن القي الظرف في صندوق البريد.

كان يشعر بقلق شديد بعد قراءة خطاب فريدا.

ما السبب الذي يدعو الفتاة للذهاب بمفردها الي نفس المكان الذي تعرضت فيه للاعتداء في اليوم السابق مباشرة؟ طبعا هذا شيء بعيد عن الحكمة تماما. هل قابلت المدعو ريد؟ هل استطاع أن يوحي اليها بالثقة، ويستدرجها من جديد الي هامستيد؟

كانت الساعة قد قاربت السابعة والنصف... لو انها أوضحت موقفها قليلا! أو المحت اليه بأي شيء! ثم أن طريقة كتابة الخطاب مخالفة تماما لطبيعة فريدا.

كانت الساعة قد اشرفت علي الثامنة عندما وصل الي فرايرزالين. كان الظلام يسود الحي، ولم يكن هناك مخلوق في الشارع. دفع باب الحديقة برفق حتي لا يحدث صوتا ووجد الممر مهجورا والبيت مظلما. وسار بحذر وهو ينظر حوله بتمعن حتي لا يفاجئه أحد.

وفجأة توقف... ظهر بصيص من الضوء من خلال أحدي النوافذ، ودام لحظة... قطعا كان هناك شخص ما بالداخل.

وبحذر شديد تلصص ولبراهام ودار حول المنزل حتي عثر علي نافذة مفتوحة بالدور الارضي. وأخرج بطارية كان قد اشتراها في طريقه وتأكد تماما ان الغرفة فارغة قبل أن يقفز الي الداخل. كانت الغرفة تؤدي الي المطبخ الذي كان بدوره خاليا.

وكان المطبخ يؤدي الي الجزء الامامي من المنزل.

وتسمع ولبراهام برهة حتي تأكد تماما من انعدام الاصوات. ودلف خارجا من المطبخ علي اطراف اصابعه. كان هناك بابان احدهما الي اليمين والآخر الي اليسار. واختار الباب الايمن وفتحه برفق وخطا الي الداخل. واضاء البطارية واخذ يتفحص الغرفة. كانت عارية من أي اثاث. وفجأة شعر بشيء خلفه فاستدار بسرعة، لكن بعد فوات الوقت لأن شيئا صلبا هوي علي مؤخرة رأسه. وسقط فاقد الوعي!

لم يستطع ولبراهام ان يحدد كم من الوقت مضي وهو فاقد الوعي. كان رأسه مصابا بصداع شديد عندما فتح عينيه. حاول ان يتحرك لكنه وجد نفسه موثقا جيدا بالحبال. واخذ ينظر حوله علي الضوء الخافت المنبعث من مصباح صغير مدلي من السقف. كان في قبو صغير. وفجأة شعر بغصة في حلقه عندما وجد فريدا علي بعد خطوات منه، مقيدة بالحبال مثله. كانت عيناها مغمضتين وانفاسها خافتة. ثم بدأت تستعيد الوعي ببطء وهو يحدق فيها.

وما ان وقعت نظراتها الحائرة عليه حتي هتفت في فرح: (انت. هنا. ماذا حدث؟)، (سقطت في الفخ بكل غباء. هل أرسلت لي رسالة تطلبين مني الحضور الي هنا؟) وفغرت الفتاة فمها في دهشة:

(أنا؟ انت الذي بعثت الي برسالة تطلب مني المجيء الي هذا المكان).

(انا لم أبعث اليك باي شيء).

(لقد تسلمتها في المكتب وفيها تطلب مني ان أقابلك هنا بدلا من

موعدنا في منزلي).

(نفس الطريقة التي اتبعوها معي).

(آه. اذن كان كل هدفهم...)

(أن يحصلوا علي الورقة. اعتقد انهم تتبعونا أمس.)

(وهل حصلوا عليها؟).

(لا أستطيع أن أحكم ويداي مقيدتان).

ثم فزع كلاهما علي صوت لم يعرفا مصدره.

قال الصوت: (لقد حصلت عليها. مع شكري الجزيل!).

وارتجف كلاهما عند سماع الصوت. وهمست فريدا:

(مستر ريد!).

وعاد الصوت يقول: (مستر ريد هو احد اسمائي يا فتاتي العزيزة. هناك الاسماء الاخري كثيرة. علي العموم انا آسف لانكما زججتما بنفسيكما في خططي. وهذا شيء لا يمكن ان أسمح به. اكتشافكما هذا المنزل شيء لا يمكن التغاضي عنه. ربما لم تبلغا البوليس حتي الآن بأمره. لكن يحتمل ان تفعلا ذلك في المستقبل. اخشي اني لا أستطيع ان اثق بكما اطلاقا. قد تعداني بالكتمان لكن الوعود نادرا ما يوفي بها. وهذا المنزل مفيد جدا لي. هو المكان الذي أقوم فيه بجميع عملياتي.

ولذلك يؤسفني أن أقول انكما لن تغادرا هذا المكان الا الي عالم اخر. آسف جدا لهذا، لكنه إجراء ضروري).

وسكت الصوت برهة ثم أضاف: (لن تكون هناك دماء. انا اكره

سفك الدماء.

هناك طريقة اخري بسيطة جدا. وعلي ما أعلم لا تسبب الما علي الاطلاق. علي كل حال، علي أن أذهب الآن... الوداع).

وصاح ولبراهام:

(اسمع. يمكنك ان تفعل بي ما شئت. لكن هذه الفتاة لا شأن لها. لا شأن لها اطلاقا. ولن يضيرك اي شيء اذا تركتها تذهب).

ولم يتلق ردا علي الاطلاق.

وفجأة صرخت فريدا: (الماء الماء).

ولوي ولبراهام جسده ليتمكن من رؤية المكان الذي ركزت عليه فريدا بصرها. ومن ثقب صغير قريب من السقف كان ينساب خيط متصل من الماء يزداد كثافة. وصرخت فريدا في هلع: (انهم يريدون ان نموت غرقا).

وبدأت حبات العرق تظهر علي جبين ولبراهام. (لكنهم لم ينتهوا منا بعد. سوف نصرخ في طلب النجدة. من المؤكد أن شخصا ما سيسمعنا. هلمي. لنصرخ سويا).

وبدأ يصرخان معا بأعلي صوتيهما حتي بح حلقهما تماما.

قال ولبراهام في يأس: (لا فائدة علي الاطلاق. قطعا الابواب عازلة للصوت.

(كل هذا بسببي. انا السبب في وضعك في هذا المأزق).

(دعك من هذا يا صغيرتي. انا قلق عليك انت. طيلة عمري وأنا في مآزق لكني تمكنت دائما من الخروج منها. ارجوك، لا تفقدي

الامل. سوف أجد طريقة ما لاخرجك من هذه الورطة. امامنا وقت طويل. بالطريقة التي يتسرب بها الماء لن يمتليء المكان قبل مضي ساعات).

(أنت انسان مدهش لم أعرف في حياتي انسان مثلك الا في الكتب والروايات).

(ليس الي هذا الحد. والآن لنحاول ان نفك هذه الحبال اللعينة).

وبعد ربع ساعة من الجهد والمحاولات، بدأ ولبراهام يشعر أن الحبل الموثق به أخذ يرتخي قليلا. وراح يحني رأسه وهو يرفع رسغيه قدر الامكان حتي امسك العقدة بأسنانه.

وبعد اطلاق يديه أصبح كل شيء سهلا. كان جسمه مصابا بكدمات وتقلصات، لكنه نسي كل هذا وهو ينحني علي الفتاة ليحل وثاقها. ولم يكن منسوب الماء قد تعدي أقدامهما.

(والآن لنخرج من هذا المكان).

كان باب القبو مغلقا. لكن بضع دفعات من كتف ولبراهام القوية انهار بها الباب من مفصلاته. كان امامهما سلم طويل في آخره باب آخر سميك، لكنه لم يكن مغلقا. فتحه ولبراهام بحذر ونظر من خلاله متلصصا. ثم أشار الي فريدا أن تتبعه. وفي لحظة كانا قد دلفا من خلال المطبخ الي الحديقة الي الخارج.

وتنهدت فريدا: (ياله من موقف عصيب).

واحتواها ولبراهام بين ذراعيه برفق: (أي حبيبتي المسكينة. لكنك كنت شجاعة جدا.

فريدا. يا ملاكي العزيز هل يمكنك... أقصد هل ترغبين... اعني انني أحبك يا فريدا. وأرغب في الزواج منك).

وبعد فترة من الصمت المعبرة تماما عن شعورهما أضاف ولبراهام:

(وبالإضافة الي ذلك فمازلنا نحتفظ بسر مخبأ العاج).

(لكني أعتقدت أنهم حصلوا عليه؟)

وضحك الميجور بجذل: (هذا بالضبط ما لم يستطيعوا أن يفعلوه. لقد كتبت نسخة مزوره من الورقة قبل ان اذهب الي منزلك هذا المساء. أما الورقة الحقيقية فقد وضعتها في خطاب وأرسلته علي عنوان الترزي الخاص بي. ان ما حصلوا عليه هو النسخة المزورة وأرجو أن يتمتعوا بها! هل تدرين ماذا سنفعل يا حبيبتي؟

سنمضي شهر العسل في شرق أفريقيا. وهناك نبحث عن مخبأ العاج).

ترك مستر باركر باين مكتبه وصعد طابقين الي غرفة مسز أوليفر، الكاتبة المشهورة والتي تعمل الآن في مكتب باين. وطرق مستر باين الباب ودخل. كانت مسز أوليفر تجلس الي مكتبها المزدحم بآلة كاتبة، وأوراق مكتوبة ومبعثرة وكيس كبير مملوء بالتفاح.

(قصة جميلة يا مستر أوليفر).

(وهل كل شيء علي ما يرام؟)

(تماما. لكن الجزء المتعلق بالماء والقبو هل يمكننا في المستقبل أن نستخدم شيئاً أقل شيوعا من هذا؟)

هزت مسز أوليفر رأسها: (قطعا لا. الناس معتادون علي قراءة مثل هذه الرسائل... الماء في القبو. الغاز السام. وهكذا. ومعرفتهم بها يزيد من أثارتهم عندما يحدث هذا لهم شخصيا. الناس محافظون بطبيعتهم ويعشقون ما هم معتادون عليه).

وقال مستر باركر باين في استسلام: (انت أكثر خبرة مني بهذا. وكم كانت التكاليف؟)

وسحبت مسز أوليفر ورقة من امامها وقالت: (قليلة نسبيا. الرجلان اللذان هاجما الفتاة، أعني برسي وجيري، طلبا مبلغا صغيرا من المال من لوريمر الممثل، ادي دور مستر ريد لقاء خمسة جنيهات. أما الصوت في القبو فكان طبعا مسجلا علي اسطوانة).

(هذا المنزل في هوايت فرايرز مدهش في الحقيقة.

لقد اشتريته بمبلغ ضئيل وحتي الآن استخدمته أكثر من عشر مرات في حالات مشابهة).

(آه. نسيت. لقد تقاضي جوني خمسة شلنات).

(ومن هو هذا الجوني؟).

(الفتي الذي قام بصب الماء في القبو.)

(وبهذه المناسبة أين تعلمت اللغة السواحلية يا مسز أوليفر..؟)

(اني لا اعرف كلمة منها).

(من المتحف البريطاني اذن؟)

(أبدا. من احد مكاتب الاستعلامات. انما الشيء الوحيد الذي يقلقني هو انهما لن يعثرا علي مخبأ العاج في شرق افريقيا).

ورد عليها مستر باين: (لا يستطيع المرء أن يحصل علي كل شيء في الدنيا. يكفيهما شهر العسل).

كانت مسز ولبراهام جالسة علي الكرسي المربح علي سطح السفينة بينما أنهمك زوجها في كتابة خطاب. وسأل زوجته: (ما هو تاريخ اليوم يا عزيزتي!)

(السادس عشر).

(السادس عشر؟ يا الهي).

(لماذا؟ ماذا حدث؟).

(لا شيء. لقد تذكرت شخصا ما.)

هناك أشياء لا يبوح بها الانسان مهما كان سعيدا في زواجه.

وفكر ميجور ولبراهام في نفسه: (كان يجب أن اذهب الي مكتب هذا المخبر الخاص واستعيد نقودي. لكن الواقع انني انا الذي اخللت بالاتفاق. فاني لم اذهب لمقابلة الرجل الذي طلب مني أن أقابله. ومع ذلك فلولا ذهابي الي ذلك طلب مني أن أقابله. ومع ذلك فلولا ذهابي الي ذلك المكان ما كنت قابلت فريدا أو سمعت استنجادها مستغيثة... لقد استحق مستر باين الخمسين جنيها ولو بطريق غير مباشر).

أما مسز ولبراهام فقد كانت هي الاخري تفكر:

كنت في غاية السخف عندما صدقت هذا الاعلان ودفعت ثلاثة جنيهات للمدعو باين. انه لم يفعل أي شيء في مقابلها ولم يحدث أي شيء ولو كنت أعرف ما سيحدث لما دفعتها ثمن مقابلتي لهذا الشخص ريد ودخول تشارلي في حياتي... فلولا الصدفة السعيدة

لكنت عشت باقي حياتي دون أن أقابله).

واستدارت نحو زوجها، وابتسمت له بكل حب وسعادة!

مال مستر باركر باين بكرسيه الي الوراء وهو يتمعن زائره. كان رجلا قصير القامة، متين البنية، في نحو الخامسة والاربعين من عمره تبدو في عينيه الحيرة والتردد والاستغراق في التفكير وهو يتطلع في أمل ولهفة.

وقال الزائر في انفعال: (قرأت اعلانك في الصحف.

هل تعاني مشكلة يا مستر روبرتس؟

لا. ليس بهذا المعني!

(هل انت تعيش؟

ولا حتي هذا أني أحمد الله علي حالي.

كلنا نحمد الله. لكننا في اغلب الاحيان عندما نري أنه يجب أن نذكر ذلك فمعني هذا ان هناك مشكلة.

هذا هو الموقف بالضبط.

لماذا لا تروي لي كل شيء عن نفسك؟

ليس لدي الكثير مما يروي. لدي وظيفة. استطعت أن أدخر قليلا من المال. أولادي أصحاء وعلي ما يرام).

اذن ما الأمر؟

لا أدري. قد يبدو لك هذا نوعا من الغباء.

بتاتا.

وبطريقته الذكية في توجيه الاسئلة استطاع مستر باركر باين

أن يستخلص بعض المعلومات من مستر روبرتس. تحدث اليه عن عمله في شركة معروفة، عن زواجه، عن كفاحه ليظهر دائما بمظهر محترم، وليعلم أولاده، وليدخر بضعة جنيهات كل سنة... قصة حياة كلها كفاح من أجل البقاء.

زوجتي غائبة الآن عن الدار عند أمها هي والطفلين... تغيير جو للاطفال وفرصة تمكن زوجتي من الاستجمام. والبيت هناك لا يتسع لي وليس في مقدورنا أن نذهب الي أي مكان آخر.

وذات مرة، وأنا بمفردي اقرأ الصحيفة، رأيت اعلانك. وبدأت أفكر... أنا الآن في الثامنة والاربعين... الدنيا تتغير حولي وانا كما انا دون تغيير.

تريد أن تعيش ولو لعشر دقائق؟

ليس هذا تماما. أو ربما نعم. أريد فقط ان انطلق من هذا السجن، وحتما سأعود اليه راضيا فيما بعد مادام لدي شيء أفكر فيه. اعتقد انه ليس هناك ما يمكن عمله، أليس كذلك يا سيدي؟ ثم اني أستطيع أن أدفع الكثير.

كم تستطيع أن تدفع؟

خمسة جنيهات. قد أستطيع أن أدفع هذا المبلغ.

ربما استطعنا أن ندبر لك شيئا في مقابل الجنيهات الخمسة. هل تخشى الاخطار؟

وتوردت وجنتا مستر روبرتس: (الخطر؟ كلا... بتاتا. في حياتي لم أفعل شيئا خطيرا.

وابتسم مستر باين: تعال لمقابلتي صباح غد وسأقول لك ما أستطيع ان أعمله.

دخل مستر باين مطعم البون فوايا جير، وهو مطعم صغير له زبائنه الخصوصيون، ولا يشجع الغرباء علي ارتياده، وسأل عن مستر بوتجتون.

موجود يا سيدي. في مكانه المعتاد)

كانت تبدو علي مستر بوتجتون مظاهر العسكرية، ونهض ليحيي صديقه بحرارة.

اهلا باركر... انت مختف منذ مدة!.

الحقيقة يالوكاس اني كنت أفكر في حديثنا عندما كنا معا آخر مرة.

حكاية بيتر فيلد؟ هل سمعت آخر الانباء. لقد قتل مساء أمس.

يا الله!.

هذا لا يدهشني البتة. رجل عنيد... هذا البيتر فيلد. لم يصغ الينا، وأصر علي أن يحتفظ بالخطط معه).

(وهل قبضوا علي القتلة؟)

(لا... الظاهر ان أحدي النساء كانت قد اعطته وصفة لطهو لحم الخنزير المسلوق. وكعادته دائما في النسيان وضع الوصفة في الحزينة والخطط في المطبخ.

هذا من حسن الحظ.

بل رحمة من السماء لكني لا أعرف من سيذهب بهذه الخطط

الي جنيف. ميثلان في المستشفي كارسليك في برلين.. واما أنا لا أستطيع السفر الآن. ربما هوفر الصغير...

هل مازلت عند رأيك؟

تماما. لا أثق به. اني استطيع ان اميز من فوري الانسان النصاب. لكن لابد من إرسال هذه الخطط الي جينيف... لاول مرة لا نبيع اختراعا لدولة انما نقدمه لها هدية!

اجمل بادرة حدثت في السلم ولا أريد لها أن تفشي. لكن هوفر نصاب).

سألتني في المرة الاخيرة عما إذا كنت اعرف أحدا.

نعم. فكرت في انك تعرف شخصا مستعدا للمجازفة. أي شخص يتولي بعده المهمة قد يتعرض للخطر. لكن من يأتي عن طريقك أنت لن يكون محل شبهة... علي أن يكون ثابت الاعصاب.

أظن أني أعرف شخصا تتوافر فيه هذه الشروط.

اتفقنا.

ولخص مستر باركر باين تعليماته مرة أخري:

هل كل شيء واضح تماما؟ ستسافر بالدرجة الاولي في عربة نوم الي جينيف... القطار يغادر لندن في الحادية عشرة الا ربعا عن طريق فولكستون وبولوني... في بولوني تذهب الي عربة النوم. والمفروض أن تصل الي جينيف في الثامنة من صباح اليوم التالي. هاك العنوان الذي ستذهب اليه.

احفظه جيدا لاني سأمزق الورقة الآن. وبعد ذلك تذهب الي

الفندق المعين وتنتظر هناك تعليماتي. واليك ما يكفيك من العملات الفرنسية والسويسرية.

هل كل شيء مفهوم؟

أجل يا سيدي. لكن... هل تسمح لي بأن أعرف شيئا عما أحمله؟

وابتسم مستر باين: انت تحمل بيانا يوضح مكان أخفاء مجوهرات تاج قيصر روسيا. وانت تدرك تماما ان الكثيرون يريدون أن يحصلوا علي هذه الوثيقة. واذا تحتم عليك ان تخبر أحدا عما تفعله فانصحك أن تقول انك ربحت بعض النقود وتريد أن تمتع نفسك قليلا).

ارتشف مستر روبرتس قهوته وهو ينظر الي بحيرة جينيف. كان سعيدا لكنه في نفس الوقت كان يشعر بخيبة أمل. سعيدا لانها اول مرة في حياته يزور بلدا أجنبيا، ويقيم في فندق لم يحلم به، ولا يكترث أبدا بالمبالغ التي ينفقها... حجرة فاخرة بحمام خاص، طعام شهي، خدمة ممتازة... كل هذا تمتع به الي آخر قطرة.

لكن خيبة أمله مصدرها انه لم يستهدف أي خطر.. لم يظهر أي عملاء يحاولون الحصول علي الوثيقة. كان كل الاتصال الوحيد الذي تم بينه وبين انسان آخر هو الحديث الذي جري بينه وبين رجل أعمال فرنسي يجيد الانجليزية كان معه في نفس القطار... كان يخفي الوثيقة في المكان المحدد لها في الحقيبة التي أعطيت له. ثم قام بتسليمها حسب التعليمات تماما. لا خطر... لا مغامرات... لا شيء علي الاطلاق! لهذا كان روبرتس يشعر بخيبة أمل.

لكن في هذه اللحظة تماما جاء رجل طويل ملتح وهمس

(معذرة)، وجلس الي المائدة علي المقعد المقابل له. ارجو معذرتك، لكن أظن انك تعرف صديقا لي يرمز الي أسمي بحرفي ب. ب.

وشعر مستر روبرتس بنشوه. أخيرا جاء العميل.
هذا صحيح. اعرفه.
اذن نستطيع أن نتفاهم.
ونظر مستر روبرتس الي الرجل متفحصا. كان يناهز الخمسين وتبدو عليه دلائل الثراء. كان يلبس مونوكل ذا شريط ملون مثبت في عروة جاكتته.
قال الرجل الغريب: (لقد اتممت مهمتك علي أكمل وجه. هل انت علي استعداد للقيام بمهمة اذن؟)
قطعا. علي أتم استعداد.
حسنا سوف تحجز لنفسك مكانا في عربة النوم علي قطار جينيف باريس مساء غد. وسوف تحجز القمرة رقم ٩.
واذا كانت محجوزة؟
ستكون فارغة. سوف نرتب نحن ذلك.
حسنا. قمرة رقم ٩.
أثناء الرحلة سيتقدم منك شخص ويسألك عما اذا كنت قد ذهبت الي جراس منذ وقت قريب. ستجيب بأنك كنت هناك منذ شهر. فيسألك عما اذا كنت مهتما بالروائح العطرية فتجيبه بأنك تعمل في صناعة عطر الياسمين. بعد هذا تضع نفسك تماما تحت تصرف هذا

الشخص. وبهذه المناسبة، هل تحمل سلاحا؟).

(لا. لم أكن أظن أني سوف أحتاج اليه.)

سندبر ذلك فورا.

ونظر الرجل حوله ليتحقق من انه لا يوجد أحد بالقرب منهما. ثم دس في يد مستر روبرتس شيئا صلبا لامعا.

سلاح صغير لكنه فعال.

ولم يكن مستر روبرتس قد لمس مسدسا في حياته. وبسرعة دس السلاح في جيبه وبدا يراوده شعور بالخوف من أنه قد ينطلق في أية لحظة.

وقال له الرجل: (أتمني لك حظا سعيدا. أرجو أن تقوم بهذه المهمة علي أتم وجه.. الحقيقة أنك رجل شجاع يا مستر روبرتس.)

وبعد أن رحل الرجل أخذ روبرتس يفكر في نفسه: (هل أنا شجاع حقا؟.. ربما لكنني قطعا، لا أريد أن أقتل أو أن يصيبني شيء.)

وعاوده الشعور بالنشوة، لكنها كانت في هذه المرة مقترنة بالخوف.

وعاد مستر روبرتس الي غرفته وأخذ يفحص المسدس. لم يكن واثقا تماما من طريقة استعماله..

وحجز روبرتس لنفسه مقعدا بالقطار. وذهب الي المحطة في موعده تماما. وسلم حقيبته الي الشيال الذي اصطحبه الي قمرته. كانت هناك أمتعة أخري في المقصورة.. حقيبة من جلد الخنزير وأخري من الجلد السميك. وكان رقم ٩ هو السرير السفلي.

وعندما استدار مستر روبرتس ليغادر القمرة كاد يصطدم برجل ضخم وتبادلا الاعتذار تكلم روبرتس بالانجليزية وتحدث الاخر بالفرنسية! كان الرجل ضخما لدرجة ملفتة للنظر.. حليق الرأس وعلي عينيه نظارة سميكة... وكانت نظراته تدل علي التشكك الشديد.

وقال روبرتس لنفسه (انسان ثقيل الظل.)

كان يشعر بداخله شعورا بالتوجس من هذا الرجل.

هل طلبوا منه ان يحجز في رقم ٩ لكي يراقب هذا الرجل؟ ربما.. وخرج الي الممر. لم تبق سوي عشر دقائق علي موعد قيام القطار. وفكر في أن يتمشي قليلا علي الرصيف. وفي الممر التقي بامرأة تتبع شيالا الي مقصورتها. وعندما مرت بجانبه سقطت منها حقيبة يدها وانحني روبرتس ليعيدها اليها.

(أشكرك يا سيدي).

كانت تتكلم الانجليزية لكن بلكنة أجنبية. وكان صوتها رخيما وجذابا. وعندما بدأت تعاود سيرها، توقفت قليلا وسألته:

معذرة يا سيدي.. لكن أظن أنك كنت في جراس منذ وقت قريب.

ورقص قلب روبرتس! اذن عليه أن يضع نفسه تحت تصرف هذه المخلوقة الجذابة. كانت جميلة فعلا... ليست جميلة فقط لكن ارستقراطية المظهر وتبدو ثرية قطعا. كانت ترتدي معطفا من الفراء وقبعة أنيقة كذلك تتزين بعقد من اللؤلؤ. وكانت بشرتها سمراء وشفتاها قرمزيتين.

ورد روبرتس بالاجابة المطلوبة: نعم. منذ شهر.

هل تهتم بالروائح العطرية؟

نعم فاني أعمل في صناعة عطر الياسمين.

وأحنت له رأسها واستمرت في سيرها بعد أن همست: (سأقابلك في الممر حالما يتحرك القطار.)

ومرت العشر دقائق الباقية وكأنها الدهر. ثم تحرك القطار. ومشي روبرتس علي مهل في الممر ووجد السيدة ذات الفراء تحاول جاهدة أن تفتح النافذة. وأسرع روبرتس يساعدها.

(أشكرك يا سيدي. قليل من الهواء قبل أن يوصدوا ثم أضافت بسرعة بما يكاد يشبه الهمس: (بعد أن نمر من الحدود ويكون زميلك في القمرة قد نام أذهب الي دورة المياه واعبر منها الي القمرة الملاصقة من الناحية الأخري. هل فهمتني؟)

نعم.

وأتم فتح النافذة ثم قال بصوت مرتفع: (أي خدمة أخري يا سيدتي؟).

لا. أشكرك جدا.

وعاد الي قمرته. كان رفيقه قد استلقي علي الفراش العلوي مرتديا ملابسه كاملة فيما عدا معطفه وحذاءه الغليظ.

وخلع روبرتس حذاءه أيضا، واستلقي بملابسه هو الاخر علي الفراش السفلي بعد أن أطفأ النور.

وبعد دقائق كان شخير الرجل الاخر علي الفراش العلوي قد بدأ

يرتفع!.

ووصل القطار الي الحدود بعد العاشرة بقليل. وفتح الباب وخل مفتش الجمرك وسأل أسئلته الروتينية. ثم عاود القطار سيره. وعاود الرجل الاخر شخيره. ومكث روبرتس بضع دقائق أخري ليتأكد من أن الرجل الاخر مستغرق في النوم تماما. ثم أنسل من الفراش، ودخل دورة المياه، وأوصد الباب جيدا وراءه. ونظر الي الباب المقابل الذي يؤدي الي القمرة الاخري، وتساءل هل يقرعه قبل الدخول؟ لكنه آثر الا يفعل ذلك مادامت السيدة تنتظره. وفتح الباب بهدوء وانتظر قليلا ثم سعل!

وبسرعة انفتح مصراع الباب وأمسكت يد بذراع روبرتس وجذبته الي الداخل وأغلقت الباب وراءه وأوصدته جيدا.

لم يكن روبرتس يتخيل أنه يمكن أن تكون هناك امرأة جميلة الي هذا الحد!!

كانت ترتدي روبا من الشيفون والدانتيلا. وكان صدرها يعلو ويهبط بانفعال وهي متكئة علي الباب.

وغمغمت قائلة: (الحمد لله).

كانت أصغر سنا مما بدت في أول الامر. وتخيل روبرتس أنها مخلوقة هبطت من عالم آخر! لم يكن قد رأي امرأة علي هذا القدر من الجمال والجاذبية. أخيرا.. جدا... مغامرة غرامية وهو غارق فيها الي أذنيه.

تكلمت المرأة أخيرا، بسرعة وبصوت خفيض. كانت تتكلم

الانجليزية بطلاقة، لكن بلكنة أجنبية شديدة: (كم أنا سعيدة لحضورك. كنت خائفة جدا. فاسيليفتش موجود في نفس القطار وانت تعلم ما يعني هذا.)

وطبعا لم يكن روبرتس يفهم أي شيء لكنه هز رأسه.

(كنت أظن أني استطعت أن أهـرب منهم. فما العمل الان؟ فاسيليفتش موجود في القمرة المجاورة. ومهما يكن الامر فيجب الا نمكنه من الحصول علي المجوهرات. حتي لو قتلني. يجب ألا يضع يديه علي المجوهرات.)

(لن يستطيع أن يقتلك ولن يستطيع الحصول علي المجوهرات.)

كان صوت روبرتس قاطعا وهو يقول لها ذلك.

(اذن ماذا أفعل بها؟)

ونظر روبرتس الي الباب: (هل الباب مغلق جيدا؟)

وضحكت الفتاة: (وماذا يهم فاسيليفتش.. مجرد باب مغلق؟).

وشعر روبرتس بأنه يعيش قصة بوليسية بحذافيرها: (هناك شيء واحد يجب عمله. أعطني المجوهرات.)

(ان ثمنها ربع مليون جنيه.) وكان في صوتها شيء من الارتياب.

(يمكنك أن تثقي بي.)

وترددت الفتاة برهة ثم قالت: (حسنا. سوف اثق بك.)

وبحركة سريعة أخرجت جواربا من النايلون ملفوفا بعناية قدمته الي روبرتس: (خذها أذن يا صديقي.)

وتناولها روبرتس. وكان الجوارب ثقيلا بمحتوياته.

(خذها الي مقصورتك. ويمكنك أن تعيدها الي في الصباح، هذا اذا كنت مازلت علي قيد الحياة.)

فقال روبرتس بلهفة: (انصتي جيدا.. بخصوصك انت.. يجب أن أتولي حراستك). واحمر وجهه خجلا وهو يضيف: ليس هنا في قمرتك طبعا. سوف أمكث هناك. وأومأ برأسه ناحية دورة المياه.

فقالت الفتاة وهي تشير الي السرير العلوي الفارغ في قمرتها: اذا كنت تحب أن تمكث هنا... (لا.. لا..) أجابها روبرتس علي عجل..

سوف أكون علي ما يرام هنا. واذا احتجت الي أي شيء فسأكون قريبا منك.

فقالت له الفتاة برقة: أشكرك جيدا يا صديقي.

واستلقت علي فراشها، وجذبت فوقها الغطاء، وهي تبتسم له بامتنان. وتراجع هو الي دورة المياه.

وعلي حين غرة وبعد مضي ساعتين تقريبا شعر روبرتس بأنه سمع حركة ما. ربما كان مخطئا. لكنه لم يستطع أن يتجاهل شعوره. وفتح الباب برفق.

كانت القمرة كما تركها بنورها الازرق الباهت لا يكاد يبدد الظلام. واجهد عينيه يتفحص أركان القمرة في الضوء الخافت. وسقطت عيناه علي الفراش. كان خاليا تماما.

وبسرعة أضاء النور. كانت القمرة خالية. واستطاع روبرتس أن يشم رائحة الكلوروفورم تعبق المكان.

وخرج من القمرة الي الممر. كان هو الاخر خاليا. ونظر الي باب

القمرة المجاورة التي قالت الفتاة أن فاسيليفتش موجود بها. وبهدوء أدار المقبض، لكن الباب كان موصدا. وحار روبرتس ماذا يفعل. اذا طرق الباب فان الرجل قد لا يسمح له بالدخول. ثم قد لا تكون الفتاة هناك. وان كانت هناك فان تدخله بهذا الشكل العلني قد يربك الامور وخاصة وان الأمر، كما فهم، يتطلب السرية التامة.

وسار جيئة وذهابا في الممر وهو لا يدري ما يفعل. وتوقف قليلا عند آخر قمرة عندما وجد بابها مفتوحا. وكان كمساري القطار نائما فيها، وعلي المشجب كان يتدلي المعطف البني وغطاء الرأس (الكاب) الذي يرتديه موظفو القطار عادة.

وبسرعة قرر روبرتس ما ينبغي عليه أن يفعل. في لحظة خاطفة كان قد ارتدي المعطف ووضع الكاب فوق رأسه. وعاد مسرعا في الممر حتي باب قمرة فاسيليفتش. واستجمع كل شجاعته، ونقر علي الباب برفق. ولما لم يرد عليه أحد نقر علي الباب مرة أخري بقوة.

وفتح الباب فتحة صغيرة وأطل منها رجل حليق الرأس ذو شارب أسود كثيف. وصاح به في غضب (ماذا تريد؟). جواز السفر لو سمحت يا سيدي.

وتردد الرجل قليلا، ثم خرج الي الممر. وأدرك روبرتس فورا ان الفتاة موجودة قطعا في الداخل والا لما حرص الرجل علي أن يحول دونه والدخول. وتحرك روبرتس بسرعة. ودفع الرجل بكل قوة جانبا ودخل مسرعا الي القمرة وأوصد الباب خلفه. وساعده علي

ذلك أن الرجل لم يكن مستعدا لهذه الحركة، ثم ان اهتزاز القطار أثناء سيره بسرعة جعل الرجل يفقد توازنه تماما.

وهناك علي الفراش كانت الفتاة راقدة... وفمها مكمم ويداها موثقتان. وبسرعة حل وثاقها. والقت هي بنفسها بين ذراعيه وهي تتنهد: (أشعر بضعف شديد من تأثير الكلوروفورم.

هل.. هل حصل عليها؟). وربت روبرتس علي جيبه وهو يجيب: (لا. لكن ماذا سنفعل الان؟).

وكانت الفتاة قد استعادت وعيها تماما. ولاحظت الزي الذي ترتديه: (كم أنت سريع البديهة! انها لفكرة رائعة. لقد هددني بالقتل اذا لم أرشده الي مكان المجوهرات. كنت سأموت من الرعب. حتي وصلت أنت.)

ثم ضحكت وأضافت: (لقد هزمته بذكائك. لن يستطيع الان عمل أي شيء. لن يستطيع حتي الرجوع الي قمرته. كل ما علينا أن نفعل هو أن ننتظر هنا حتي الصباح. قطعا سيغادر هو القطار في ديجون عندما نتوقف هناك بعد نصف ساعة. سيبرق إلي باريس وسيلتقطنا أتباعه هناك. يستحسن أن تلقي الزي من النافذة قبل أن يكتشف أحد أنك سرقته.)فقال روبرتس: (حسناً... سأفعل ما تريدين.)

وأضافت الفتاة: (لكن يجب الا ننام، ينبغي أن نبقي حريصين ومتنبهين حتي الصباح.)

وأمضيا الليل ساهرين. وفي السادسة صباحا فتح روبرتس الباب بحرص وأطل منه. لم يكن هناك أحد. ودلفت الفتاة مسرعة الي

الممر ان شخصا ما قد عبث بكل محتوياتها. وعاد روبرتس الي قمرته ووجد زميله فيها مازال يصدر شخيرا عاليا.

ووصلا الي باريس في السابعة. وكان الكمساري يثير ضجة علي الرصيف لاختفاء الزي الرسمي الخاص به. ولم يكن قد اكتشف بعد أن أحد الركاب أيضا قد اختفي.

ثم بدأت مطاردة مثيرة ومسلية في الوقت نفسه. واستقلا تاكسي بعد الاخر وذهبا من طرف المدينة الي الطرف الاخر. ودخلا عدة فنادق ومطاعم من أبوابها الامامية وغادرها من أبوابها الخلفية. حتي تنهدت الفتاة آخر الأمر:

(انا متأكدة تماما من أنهم فقدوا أثرنا الان.)

وبعد أن تناولا الافطار ذهبا الي مطار ليبورجيه واستقلا الطائرة الي كريدون.

وكانت هذه أول مرة يركب فيها روبرتس طائرة في حياته.

وفي كرويدون قابلهما رجل طويل يشبه الي حد ما الرجل الذي قابله روبرتس في جنيف.

وحيا الرجل الفتاة باحترام شديد وقال. (ان السيارة تنتظرنا يا سيدتي.)

سيرافقنا هذا السيد يا بول. (ثم استدارت نحو روبرتس وقدمت اليه الرجل: (الكونت بول ستيباني.)

كانت السيارة ليموزين فاخرة. سارت بهما نحو ساعة ثم وصلت الي قصر ريفي ينم مظهره عن الثراء. ودخل روبرتس معهما الي غرفة

مكتب انيقة حيث سلمهما الجوارب المحتوي علي المجوهرات. ثم تركاه بمفرده لحظة عاد بعدها الكونت وتركهما بمفردهما.

(مستر روبرتس. انا مدينة لك بحياتي.)

ومدت له يدها، وانحني روبرتس عليها وقبلها. واقتربت منه الدوقة فجأة وهي تقول: انك رجل شجاع.)

والتقت شفتاهما... وداعبت انفه رائحة عطرها الشرقي. وأبقي روبرتس ذراعيه حولها لحظة!

وكان لا يزال في حلمه عندما اقترب منه شخص وقال له: (السيارة تنتظرك يا سيدي لتصحبك الي أي مكان.)

وعادت السيارة بعد ساعة واستقلتها الدوقة والكونت. وكان الكونت قد خلع ذقنه المستعارة. وغادرت الدوقة أولجا السيارة أمام منزل في ضاحية ستريتهام ودخلت المنزل حيث وجدت سيدة عجوزا تصب الشاي.

(آه يا عزيزتي ماجي. ها قد عدت أخيرا.)

في قطار جنيف كانت الفتاة.. الدوقة أولجا. وفي مكتب مستر باركر باين كانت... مادلين دي سار. وفي المنزل في ستريتهام كانت ماجي سايرز الابنة الرابعة في عائلة محافظة.

كان المستر باركر باين يتناول الغداء مع صديقه. (تهنئتي. لقد قام رجلك بالمهمة خير قيام. لابد أن الاخرين قد فقدوا الرشد عندما أدركوا انهم لم يستطيعوا الحصول علي الوثيقة. هل أخبرته بمحتويات الوثيقة.)

(لا. لفقت له قصة أخري.)

(هذا أفضل بكثير.

(ليس هذا فقط. كنت أريد أن أجعل هذا الرجل يشعر بالاثارة الي أقصي حد. كنت أريده أن يحظي بقسط من المغامرة.)(هل تكسب كثيرا من مهنتك هذه يا باين؟)

(أحيانا أخسر... هذا إن كانت القضية تستحق.)

وفي باريس كان هناك ثلاثة أشخاص يتبادلون الشتائم.

(اللعنة علي هوير. لقد خلا بنا.)

(لم تكن الوثيقة مع أي شخص من المكتب. لكنها خرجت من المكتب يوم الأربعاء أنا واثق تماما من ذلك. كل ما حدث هو سوء تصرفك للامور.)

وقال الثالث بغضب: (لا. ليست غلطتي. لم يكن هناك أي انجليزي علي القطار سوي كاتب صغير لا يمكن أن يكون عرف شيئا في حياته عن بيترفيلد أو الوثيقة.)

كان مستر روبرتس يجلس الي جوار المدفأة.. وعلي ركبته خطاب من مستر باركر باين.. كان يحتوي علي شيك بمبلغ خمسين جنيها من اناس يقدرون تماما ما قمت به من أجلهم).

وتنهد مستر روبرتس. لم يكن حلما. كل هذا حدث فعلا. كانت مغامرة ممتعة للغاية، لكنه الان سعيد بالعودة الي المنزل. غدا تعود ماري والاولاد.

وابتسم روبرتس في سعادة.

سوف تقول ماري انها قضت عطلة جميلة لولا أنها كانت تفكر فيه وهو يعيش وحيدا. وسوف يقول لها انه اضطر للذهاب الي جنيف لقضاء بعض أعمال للشركة... وانه اجري مفاوضات كوفيء علي انجازها. وسيريها الشيك!

ثم تذكر الوسام! كان قد خبأه.. لكن ربما عثرت عليه ماري، فماذا يقول لها؟ واستقر رأيه علي أن يقول انه اشتراه كتذكار في رحلته.

والتقط كتابا وشرع يقرأ وهو يشعر بسعادة لم يشعر بمثلها في حياته من قبل.



قضية المرأة التعيسة



دق الجرس الخافت علي المكتب وسمع مستر بار كر باين صوت سكرتيرته تقول: (هناك فتاة ترغب في مقابلتك. ولكن لم يسبق لها تحديد موعد معك..)

(لا يهم. ادخليها من فضلك يا مس ليمون.)

ودخلت الفتاة، وصافحها مستر باين ودعاها للجلوس. كانت جميلة، صغيرة السن. شعرها أسود ومموج. تبدو جذابة في معطفها الأبيض وجواربها الملون وحذائها الأنيق. لكنها كانت تحت تأثير توتر عصبي شديد.

(هل انت مستر باركر باين؟)

(نعم.)

(صاحب الاعلان؟)

(صاحب الاعلان.)

(تقول ان الناس عندما يكونون تعساء يمكنهم الحضور اليك؟)

(نعم.)

(حسنا أنا تعيسة جدا. ولهذا جئت اليك لاري ما تستطيع عمله.)

ولم يتكلم مستر باين وانتظر ان تكمل الفتاة حديثها. وأضافت الفتاة بعد لحظة وهي تضغط يديها بشدة: (أنا في ضائقة شديدة.)

(هذا يبدو واضحا. هل تريدين أن تسردي لي ما يضايقك؟)

كانت الفتاة مترددة. وأخـذت تنظر الي مستر باين بامعان وتفحص. ثم اندفعت في الكلام.

(أجل سوف أحكي لك. لقد قررت أن أقول لك كل شيء. أن قلقي هذا سوف يدفعني الي الجنون، اني لا أعرف أين أذهب أو مع من اتكلم. حتي قرأت انني لن أخسر شيئا بالمجيء اليك. يمكنني أن أنصرف بمجرد أن أحس انني لا أثق فيك.)

(والان هل تشعرين باني يمكن ان أكون محل ثقتك؟) (قد يبدو لك هذا غريبا لكنني شعرت لاول وهلة باني اثق بك. حتي قبل أن اعرف أي شيء عنك. انا متأكدة انه يمكنني أن أثق بك.)

(وأنا أستطيع أن أؤكد لك ان ثقتك في محلها.)

(حسنا. سوف أقص عليك كل شيء. أسمي دافني سان جون.).

(آنسة؟)

(سيدة. متزوجة.)وأحس مستر باين بالحرج لأنه لم يلحظ دبلة الزواج في اصبعها.

لو لم اكن متزوجة لهان الامر. انه تفكيري في جيرالد زوجي هنا اصل المشكلة... وادخلت يدها في حقيبتها والقت بشيء علي المكتب امام مستر باين. كان خاتما من البلاتين محلي بماسة ثمينة. وتفحص مستر باين الخاتم بامعان وقال:

(انها ماسة فاخرة. تساوي علي الأقل ألف جنيه.)

(اجل. وهي مسروقة. انا سرقتها. ولا ادري ماذا أفعل.)

وانهارت الفتاة تبكي وتنشج.

(لا عليك. كل شيء سيسير علي ما يرام.)

وجففت الفتاة دموعها: (هل انت متأكد. ان كل شيء سيكون علي ما يرام).

(طبعا. الان احكي لي قصتك من البداية.)

(البداية كانت ضائقة مالية. انا بطبيعتي مسرفة جدا. وهذا يضايق جيرالد كثيرا. انه يكبرني بعدة سنوات وله أفكار محدودة. يكره جدا الديون. ولذا لم استأذنه عندما ذهبت مع بعض الأصدقاء الي محل التوكيت وكنت متأكدة ان حظي سيسعفني في لعبة (ايشمان دي فير). وفعلا كسبت في اول الامر. ثم بدأت أخسر. فقررت أن استمر وتوالت الخسارة... لم استطع ان أقول لجيرالد فهو يكره القمار.

وكنت يومها في حالة شنيعة. وقد ذهبت الي كوبهام عند آل دورتيمر. انهم اغنياء جدا كما تعلم. زوجته، ناعومي، كانت زميلتي في المدرسة. صديقة عزيزة لي. واثناء وجودي عندها انفصل الفص الماس عن خاتمها فطلبت مني عند عودتي الي لندن ان آخذه الي الجواهرجي في بوند ستريت.)

(ها قد وصلنا الي المشكلة، استمري يا مسز سان جون.)

(ارجوك ألا تتفوه بكلمة عن هذا لاي مخلوق.)

(أن اسرار عملائي مقدسة تماما. وعلي كل حال فان في استطاعتي الان ان اكمل القصة بدلا منك.) أعرف هذا اني أكره نفسي لما حدث ذهبت الي بوند ستريت. هناك جواهرجي آخر يدعي فيرو، ماهر في تقليد المجوهرات. كنت اتصرف بدون شعور. طلبت منه نسخة طبق الاصل من الخاتم.. قالت أنني مسافرة الي الخارج ولا أريد ان آخذ معي مجوهراتي الحقيقية. وبدا له هذا أمر طبيعي.

كانت النسخة المزيفة مطابقة الي حد مدهش. فارسلتها بالبريد الي الليدي دور تيمر. كان عندي صندوق صغير عليه اسم الجواهرجي فلم ترتب في شيء. ثم رهنت الخاتم الحقيقي...) واخفت وجهها بين راحتيها واخذت تبكي ثانية: (بالله كيف استطعت ان أفعل هذا؟ كيف استطعت؟)

وسعل المستر باين منبها: (اظن أن القصة لم تنته بعد.)

(لا. لم تنته. حدث هذا منذ ستة أسابيع. سددت كل ديوني. ومع ذلك كنت في منتهي التعاسة. ثم توفت ابنة عم عجوز لي وتركت لي مبلغا من المال. واول شيء فكرت فيه هو أن استرد الخاتم الملعون. ثم حدث شيء زاد الامور تعقيدا.) (وما هو؟)

(لقد دب الخلاف بيننا وبين آل دورتيمر. خلاف حول اسهم كان دورتيمر قد اقنع جيرالد بشرائها. وغضب جيرالد جدا وقال لدورتيمر رأيه بكل صراحة. المشكلة الان انني لا أستطيع أن أعيد الخاتم.)

(ألا يمكنك أن ترسليه اليها بخطاب مجهول؟)

(هذا سيفضح كل شيء. سوف تكشف الخاتم المزيف وتدرك فورا

ما فعلته.)

(لقد قلت لي انها صديقتك. لماذا لا تقولين لها الحقيقة وتدعين نفسك تحت رحمتها؟)

هزت مسز سان جون رأسها: (ان صداقتنا لا تصل الي هذا الحد. وفيما يختص بالمال أو المجوهرات فان ناعومي لا تتهاون ابدا. قد تشكوني في المحاكم لو عرفت بأمر الخاتم. سوف تخبر الدنيا كلها بما فعلته. وسيعرف جيرالد ولن يغفر لي ابدا. انه لموقف مروع.)

وبدأت تبكي مرة أخري:

(لقد فكرت وفكرت ولم اجد حلا واحدا للمشكلة.

هل تستطيع أن تفعل أي شيء من أجلي يا مستر باين؟)

(أشياء كثيرة.)

(أصحيح هذا؟ في استطاعتك؟)

(بالتأكيد. لقد اقترحت عليك أهون الطرق لكني مقدر تماما اعتراضاتك. والان. هل يعرف أحد أي شيء عن هذا الموضوع سواك.)

(انت فقط.)

(انا لا ادخل في الحسبان. إذن سرك في امان الان. كل ما نحتاجه هو ان نبدل الخاتم دون أن نثير شبهة أحد. هذا ليس بالعسير. فقط يجب أن نفكر في افضل الطرق.)

فقاطعته قائلة: (لكن ليس هناك وقت كاف. وهذا هو ما يدفعني الي الجنون. فهي تنوي أن تعيد صياغة الخاتم.)

(وكيف عرفت ذلك؟)

(بالصدفة. كنت أتناول الغداء مع احدي الصديقات منذ أيام وابديت اعجابي بخاتمها لأنه يضم زمردة كبيرة وجميلة. فاخبرتني صديقتي ان ناعومي دورتيمر تنوي اعادة صياغة خاتمها علي نفس الطراز.)

(هذا معناه ان علينا ان نتصرف بسرعة.)

(نعم. نعم.)

(وهذا يعني ان علينا ان ندخل المنزل.. بطريق مشروع ان أمكن. هل لديك اقتراحات يا مسز سان جون؟)

(تنوي ناعومي اقامة حفلة ساهرة كبري يوم الاربعاء وقد ذكرت لي صديقتها انها تبحث عن راقصات لتقديم بعض الاستعراضات. لا أظن أنها وجدت ضالتها بعد...

(يمكننا ان نعالج هذا الامر. اذا كانت قد اتفقت فعلا فذلك سيكلفنا أكثر، هذا كل ما في الامر. والان، هل تعرفين مكان محول الكهرباء الرئيسي في المنزل؟)

(نعم اعرفه ففي احدي الليالي انطفأ النور الكهربائي بعد ان غادر المنزل جميع الخدم وعالجنا الامر بأنفسنا. انه في صندوق خلف الصالة الكبري.)

وطلب منها المستر باين ان ترسم له خريطة مبسطة ليحدد مكان المحول الكهربائي. ثم قال: (والان كل شيء سيسير علي ما يرام) ارجوك ألا تقلقي. أما بخصوص الخاتم. هل ترغبين في إعطائي الخاتم الان أم تفضلين أن يبقي معك حتي يوم الاربعاء؟).

(ربما يستحسن ان احتفظ به انا.)

(حسنا. فقط ارجوك ألا تقلقي.)

وسألته الفتاة في حياء: (وماذا بخصوص اجرك؟)

(ممكن ارجاء هذا في الوقت الحاضر. سأخبرك يوم الاربعاء عن المصاريف. أما الاجر فهو صوري فقط.)

واصطحبها الي الباب. ثم دق جرس سكرتيرته. (من فضلك ارسلي لي كلود ومادلين.)

كان كلود لوتريك من اجمل فتيان انجلترا كما كانت مادلين دي سارا من احلي فتياتها. (حسنا يا اولادي عندي مهمة لكما. سوف تصبحان من اشهر الراقصين العالميين لفترة ما. والان أصغ الي يا كلود وافهميني جيدا...)

كانت الليدي دورتيمر سعيدة جدا بترتيبات حفلها الساهر. أخذت تتفحص ترتيب الورود والزينات، وتلقي بآخر تعليماتها للخدم وهي مغتبطة بأن كل شيء يسير حسب رغباتها تماما.

كانت قد تضايقت بعض الشيء عندما أخبروها تليفونيا ان الراقصين مايكل وجوانيتا المشهورين لن يستطيعا تقديم عرضهما عندها لان جوانيتا أصيبت بالتواء في قدمها. لكنهم اكدوا لها ان الراقصين البديلين من أحسن الراقصين وأن أستعراضهما كان من انجح الاستعراضات التي شهدتها باريس.

وما أن وصل الراقصان وشاهدتهما الليدي دورتيمر حتي تبددت كل الشكوك التي ساورتها. ومضت السهرة دون ان يكدرها شيء. كانت الاستعراضات جميلة. وبعدها بدا الرقص. وطلب الراقص الجميل

من الليدي دورتيمر أن تراقصه. وكان ماهرا جدا الي درجة اعتقدت معها انها لم تراقص في حياتها كلها خيرا من هذا.

أما زوجها فكان يبحث دون جـدوي، عن الراقصة الحسناء التي كانت قد اختبأت خلف الصالة الكبري بجانب صندوق المحول الكهربائي وهي تنظر الي ساعة معصمها بقلق.

وكان كلود، أو الراقص جول، يضغط برفق علي خصر الليدي دورتيمر ويهمس (لا يمكن أن تكوني انجليزية. لا يمكن خاصة وانت ترقصين هكذا.)

وضغطها اليه أكثر. وفجأة انقطع النور الكهربائي. وفي الظلام انحني كلود ليقبل يد الليدي دورتيمر الموضوعة علي كتفه. فلما همت بسحبها أمسكها بيده ودفعها الي شفتيه. وأثناء جذب يدها انزلق الخاتم من أصبعها في يده.

وعاد النور يسطع في المنزل. وبدا لليدي دورتيمر ان الامر استغرق مجرد لحظة. وكان كلود يبتسم: (خاتمك. انزلق من أصبعك. هل تسمحين لي؟)

برقت عيناها وهو يعيد الخاتم الي اصبعها. وعيناه مثبتتان علي عينيها.

وغمغم زوجها: احد التافهين يريد أن يبدو ظريفا.)

أما الليدي دورتيمر فكانت في نشوة.

وصل مستر باركر باين الي مكتبه صباح الخميس ليجد مسز سان جون في انتظاره. وسألته بلهفة. (ماذا تم؟)

وأجابها مستر باين: (تبدين شاحبة متعبة.)

(لم أستطع النوم لحظة. كنت علي أحر من الجمر..)

(ها هي فاتورة الحساب. تذاكر القطار. خمسون جنيها لمايكل وجوانيتا. المجموع خمسة وستون جنيها وسبعة عشر شلنا.)

ونظر اليها مستر باين بدهشة: (يا سيدتي العزيزة طبعا كل شيء تم. علي احسن وجه. كنت أظن انك تفهمين ذلك تماما.)

(يا لحسن الحظ.. كنت أخشي ان..)

(لا يوجد مكان للفشل عندي. اذا كنت اشك في النجاح فأنا لا أقبل القضية منذ البداية وقبولي لقضية معناه أن نجاحها أكيد.

(هل استعادت فعلا خاتمها دون أن تشك في شيء؟)

(ليس لديها ادني شك. فقد تمت العطية بكل بساطة.)

وتنهدت دافني سان جون: (لقد انزاح حمل ثقيل عن قلبي. وكم بلغت المصروفات؟)

(خمسة وستون جنيها وسبعة عشر شلنا.)

وأخرجت مسز سان جون النقود واعطتها له وسلمها مستر باين ايصالا بها.

(وماذا عن اجرك انت؟ هذا المبلغ يغطي المصروفات فقط.)

(في هذه القضية بالذات لن أتقاضي اي اجر.)

(مستحيل يا مستر باين. لا يمكن أبدا.)

(لا فائدة يا سيدتي العزيزة. لا أستطيع أن أتقاضي أي أجر. انه ضد مبادئي. ها هو ايصالك. والان.)

وابتسم في خبث وهو يخرج علبة صغيرة من جيبه ويدفعها فوق المكتب ناحيتها.

وفتحت دافني العلبة ووجدت النسخة المشابهة للخاتم بداخلها.

ونظرت دافني الي الخاتم وهي تكشر بدلال: (ايها الوغد. كما امقتك. اتمني أن ألقي بك من النافذة.)

(يحسن بك ألا تفعلي والا اندهش المارة.)

وسألته دافني: (هل انت متأكد انه ليس الخاتم الحقيقي؟)

(طبعا. الخاتم الذي أعطيته لي موجود الان في أصبع ليدي دورتيمر.)

فضحكت في سعادة: (اذن. كل شيء علي ما يرام.)

وعاد مستر باركر باين يقول: (لكن الغريب انك سألتني هذا السؤال. أن كلود المسكين يفتقر تماما الي الذكاء. ومن الجائز أن يكون قد ارتبك والتبس عليه الامر. لذلك عرضت الخاتم علي احد الخبراء هذا الصباح.)

وانتبهت مسز سان جون في جلستها وبان عليها الغضب: (حقا؟ وماذا قال؟).

(قال ان الخاتم تقليد مدهش. تزييف من الدرجة الاولي. وهذا طبعا يهدئ من خاطرك.)

وبدا علي مسز سان جون انها ستقول شيئا لكنها عدلت وجلست تحدق في مستر باركر باين.

وقال لها مستر باركر باين بهدوء: (هذا الدور دور مخلب القط لا

أعتقد أنني أريد لاي من الذين يعملون معي أن يقوموا به. هل أقص عليك قصة صغيرة؟ حسنا.

القصة تتعلق بفتاة صغيرة وجميلة. ليست متزوجة. واسمها ليس سان جون وليس دافني أيضا. اسمها الحقيقي ارنستين ريتشاردز وإلى وقت قريب كانت تعمل سكرتيرة عند الليدي دورتيمر.

(وفي أحد الأيام انفصل الفص الماسي عن خاتم الليدي فطلبت من مس ريتشاردز سكرتيرتها ان تأخذه الي المدينة لاصلاحه. اظن الي هذه النقطة والقصة مشابهة تماما لقصتك؟

وطرأت لمس ريتشاردز نفس الفكرة التي راودتك انت: حصلت علي نسخة مطابقة تماما للخاتم. لكنها كانت فتاة بعيدة النظر. ادركت انه في يوم ما ستكشف ليدي دورتيمر حقيقة الخاتم. وستدرك عندئذ من الذي قام باستبداله.

(فماذا حدث؟ غيرت الفتاة من لون طريقة تصفيف شعرها وحضرت إلي. ارتني الخاتم حتي اتأكد انه حقيقي وتزول اي شكوك قد تراودني. وبعد أن اتفقنا علي خطة استبدال الخاتم أخذت الفتاة الخاتم الحقيقي للجوهرجي الذي اعاده بدوره الي ليدي دورتيمر.

وامس مساء تسلمت الخاتم الاخر المزيف عند محطة واترلو. وكانت مس ريتشاردز تعتقد أن مستر لوتريل لا يعرف شيئا عن الاحجار الثمينة. لكن لمجرد رغبتي في أن أطمئن نفسي علي أن كل شيء علي ما يرام، طلبت من أحد أصدقائي، وهو خبير في الجواهر أن يستقل نفس القطار مع لوتريل ويفحص الخاتم أثناء الرحلة.

وبمجرد نظرة واحدة انبأني أن هذه الجوهرة ليست حقيقية وانها تقليد رائع.

(هل ادركت الهدف الان يا مسز جون؟ عندما تكتشف ليدي دورتيمر حقيقة الخاتم المزيف سوف تتذكر الراقص الجذاب الذي خلع الخاتم من أصبعها اثناء فترة الظلام. وسوف تستقصي الامر وتعلم أن الراقصين الأصليين قد دفع لهم مبلغ من المال لقاء عدم الحضور. ثم يصل الامر في النهاية الي مكتبي وعندئذ تبدو قصتي عن المدعوة مسز سان جون في منتهي الضعف. قصة واهية تماما.)

(هل تدركين الان لماذا لم أقبل أي أجر منك. أنا أعد الناس بالسعادة. ولكني قطعا لم آتيك بالسعادة التي تنشدينها. لكن أريد أن أقول شيئا واحـدا. أنت صغيرة السن. وربما كانت هذه أول محاولة لك من هذا القبيل. أما أنا فعندي الكثير من الخبرة في أمور الاحصائيات وأستطيع أن أؤكد لك أن سبعة وثمانين في المائة تصوري: سبعة وثمانين في المائة من محاولات الاحتيال تبوء بالفشل. فكري جيدا في هذا.)

وهبت الفتاة واقفة: (أيها الوغد اللئيم. تستدرجني وتسخر مني! حتي أنك طلبت مني أن أدفع المصاريف. وطيلة الوقت وأنا معتقدة...) واختنق صوتها وبدأت تهرول ناحية الباب.

وصاح بها مستر باين: (الخاتم. لقد نسيته.)

واختطفت الخاتم من يده وطوحت به من النافذة المفتوحة. وخرجت مسرعة وصفقت الباب خلفها بشدة.

مشكلة زوج قلق



لا شك ان أبرز صفات مستر بار كر باين ما في سلو كه من عطف و حنان. و هو سلوك يو حي بالثقة.
انه يعر ف جيدا مدي الر هبة التي تصيب زبائنه بمجر د دخولهم الي مكتبه. فعليه أن يمهد أمامهم الطريق ليفتحوا له قلوبهم.

في هذا الصباح كان يجلس في مواجهته عميل جديد يدعي مستر ريجينالد ويد. وأدرك مستر باين من فوره أن مستر ويد هذا من ذلك الطراز الذي يجد صعوبة شديدة عن التعبير عما في نفسه. ذلك الطراز الذي يجد نفسه عاجزا عن الافصاح عما يتصل بالانفعالات والعواطف.

كان مستر ويد طويل القامة، عريض المنكبين له وجه لفحته الشمس وعينان زرقاوان. جلس أمامه يعبث بشاربه الصغير علي غير وعي منه وهو ينظر اليه كأنه حيوان ابكم.

ثم اندفع يقول: (رأيت اعلانك. وفكرت أن أحضر اليك. مجرد محاولة. فمن يدري..؟)

وادرك مستر باين ما يحاول الرجل جاهدا أن يقول: (طبعا. عندما تسوء الامور فان الانسان يكون علي استعداد ليجرب أي شيء.)

(تماما. تماما. آني مستعد لان أجرب أي شيء. فأموري قد ساءت يا مستر باين. لا أدري ماذا أفعل. الأمر شاق علي كما تعلم، شاق جدا.)

(وهنا يأتي دوري.. اني أعرف ما ينبغي أن افعل.. اني خبير في المشاكل الانسانية.)

(لكن هذه مشكلة صعبة جدا..)

(ليس تماما. مشاكل الانسان يمكن تقسيمها الي بضعة اقسام. هناك الصحة. أو الملل أو زوجات في مشاكل بشأن ازواجهن. أو أزواج.) وصمت مستر باين لحظة ثم أضاف: (لهم مشاكل مع زوجاتهم.)

(هذه هي المشكلة بالضبط.)

(اذن قص علي مشكلتك.)

(ليس هناك شيء كثير يمكن أن يقال. زوجتي تريد مني الطلاق لكي تتزوج شخصا آخر.)

(هذا أمر شائع جدا هذه الايام. لكنك انت لا ترغب في الطلاق؟)

(أنا أحبها. نعم أحبها للغاية.)

كان كلام الرجل بسيطا وعاديا. لو انه قال انه يعبدها ويعبد الارض التي تسير عليها وسيقتل نفسه من أجلها ما أحدثت كلماته في نفس مستر باين أثرا أقوي مما تركته هاتان الكلمتان البسيطتان.

وأضاف مستر ويد: (ومع ذلك، فما الذي يمكنني عمله؟ ان الانسان يجد نفسه في مثل هذه الحالات عاجزا تماما. اذا كانت هي تفضل الاخر.. اذن فليس هناك ما أستطيع عمله الا أن اتنحي، فلست أرغب في أن أدفع بها الي المحاكم.)

ونظر اليه مستر باين في امعان: (لكنك حضرت لرؤيتي. لماذا؟)

فضحك الاخر بخجل: (الحقيقة لا أدري. اني لست موفور الذكاء ولا أستطيع أن أفكر جيدا. وخطر لي انه ربما تستطيع أنت أن تقترح علي كيف أتصرف. أمامي ستة أشهر. وقد وافقت هي علي ذلك. واذا كانت لا تزال عند رأيها بعد مضي ستة أشهر فعلي أن انسحب. فربما أستطعت انت ان ترشدني الي ما يجب عمله لأن سلوكي حتي الان يضايقها ويكدر صفوها.)

(وكما تري يا مستر باين فاني انسان عادي جدا. أهوي الرياضة وأمارس الجولف والتنس. لكن لا علاقة لي اطلاقا بالموسيقي أو الفن. أما زوجتي فتحب السينما والاوبرا والحفلات الموسيقية. من الطبيعي انها تتضايق مني. وهذا الشخص الاخر شخص لعين انه يطيل شعره، ويفهم جيدا في شئون الفن والموسيقي ويتحدث عنها بلباقة. وأنا لا استطيع ذلك. الحقيقة إنها امرأة ذكية وجميلة لابد أن تكون معذورة اذا سئمت أن تعيش مع حمار مثلي.)

وتنهد مستر باركر باين: (منذ متي وانتما متزوجان؟ تسع سنوات؟ وطبعا كنت تتبع هذه الطريقة منذ البداية، وهذا خطأ شنيع يا سيدي العزيز. لا تتبع أبدا طريقة التواضع مع النساء. فالمرأة تعاملك دائما بنفس الطريقة التي تظهر بها انت. الواجب في حالات كهذه أن تفخر بمقدرتك الرياضية. وتتحدث عن الفن والموسيقي باعتبارهما الكلام الفارغ الذي تحبه زوجتك. ويمكنك حتي ان تعيرها لانها لا تستطيع ان تمارس أي نوع من الرياضة. في الزواج يا عزيزي التواضع لا

يجدي ابدا. لا توجد المرأة التي تستطيع تحمل هذا. ولا عجب ان زوجتك تصرفت بهذا الشكل.)

ونظر مستر ويد اليه بارتباك: (اذن ما الذي استطيع أن أفعله الان؟)

تسع سنوات. فات الوقت الان. يجب اتباع طرق جديدة. هل كانت لديك علاقات بنساء اخريات؟)

(بالطبع لا.)

(حتي ولا مجرد غزل؟)

(اني لم أهتم أبدا بالنساء.)

(وهذا خطأ. اذن يجب أن تبدأ الان.)

ونظر اليه مستر ويد بانزعاج: (أعتقد انه لا يمكنني أعني أن..)

(لن يسبب لك هذا الأمر أي ازعاج. ستقوم احدي موظفات مكتبي بالعملية. وهي التي سترشدك الي ما يجب عمله وطبعا كل ما سيحدث بينكما سيكون مجرد علاقة عمل.)

وتنهد مستر ويد بارتياح، (جميل جدا. لكن الا تعتقد أن تصرفا كهذا قد يدفع ايريس للالحاح في طلب الطلاق؟)

(يبدو انك لا تعرف طبيعة البشر جيدا يا مستر ويد. وخاصة طبيعة المرأة. في حالتك الراهنة تعتبرك المرأة مجرد سلعة غير مطلوبة ولا أحد يرغب فيك. فما الذي يهم المرأة من شخص لا يرغب فيه أحدا لا نفع له اطلاقا. والان فلتنظر الي الأمر من زاوية أخري لنفرض انك متلهف الي الحصول علي حريتك بقدر ما تريد

هي حريتها؟)

(يسرها ذلك. طبعا وتغتبط له..)

(المفروض انها ستغتبط لكن هذا لن يحدث. ستري انك حزت اعجاب فتاة فاتنة فتاة في امكانها أن تختار من الرجال من تشاء. هذا سيرفع من أسهمك كثيرا. وستدرك زوجتك أن الناس سيقولون انك هجرتها لانك مللتها ولانك تسعي وراء امرأة اخري اكثر جاذبية. وهذا هو ما سوف يحز في نفسها.)

(هل تعتقد هذا؟)

(أنا واثق من هذا. لن تصبح بعد الان ريجي المسكين، وانما ستعود هذا الوغد ريجي، وهنا يكمن كل الفرق. وستحاول زوجتك، دون أن تفرط في الرجل الاخر، ان تكسب حبك مرة أخري. لكن لن تلين. سترده لها كل ما كانت تقوله لك هي: من الاوفق أن ننفصل. ان طباعكم لاتتفق. انك لا تستطيع فهمها كما لا تستطيع هي فهمك. لكن دعنا من هذه التفاصيل الان. سوف تصدر اليك التعليمات اللازمة عندما يحين الوقت.)

كان مستر ويد مازال متشككا في الامر.

(هل انت متأكد من أن خطتك هذه ستؤدي الغرض المطلوب)؟

(لا أستطيع أنا أن أجزم بأنها ستوفي بالغرض. هناك احتمال بأن زوجتك تحب الاخر حبا شديدا، وفي هذه الحالة لن تتأثر بأي شيء تفعله. لكني أعتقد أن هذا غير صحيح. اعتقد أن الملل هو الذي دفعها الي هذه العلاقة ملل من الاخلاص المتناهي والوفاء التام الذي

غمرتها انت بهما دون ترو.

فاذا اتبعت نصائحي وارشاداتي، فأعتقد أن النتيجة ستكون في صالحك بنسبة سبعة وتسعين في المائة.)

(هذا يبدو معقولا. اني مستعد. وبالمناسبة كم تتكلف هذه الخطة؟)

(مائتي جنيه. تدفع مقدما.)

وأخرج مستر ويد دفتر شيكاته.

كان لوريمر كورت يبدو بديعا بعد الظهر. وأستلقت ايريس ويد علي كرسي مريح. وهي تبدو أقل بكثير من الخامسة والثلاثين عاما التي بلغتها والفضل في هذا الي المساحيق التي تتجمل بها. وكانت تتحدث الي صديقتها مسز ماسنجتون التي تربطها بها مودة شديدة. وكانت المرأتان تشكوان من نفس العلة زوجان يهويان الرياضة ونادرا ما يتحدثان في أي شيء آخر.

وكانت ايريس تقول (... وهكذا يعيش الزوج ويدع زوجته تعيش أيضا.)

وردت عليها مسز ماسنجتون (انت امرأة مدهشة يا عزيزتي.) ثم أضافت بلهفة: (بالله خبريني. من هي هذه الفتاة؟)

وهزت ايريس كتفيها: (لا أدري. ان ريجي هو الذي عثر عليها. هي صديقة كما تعلمين).

(الغريب في الامر أن ريجي لم ينظر من قبل الي فتاة. جاء الي مرة وأخذ يتعلثم وأخيرا قال انه يود أن يدعو هذه المس دي سارا

لقضاء عطلة آخر الاسبوع. طبعا ضحكت ساخرة والنتيجة انها هنا الان.).

(وأين قابلها زوجك؟)

(لا أدري. كان شديد الغموض عندما سألته عن هذه النقطة بالذات.)

(ربما كان يعرفها من مدة؟)

(لا أعتقد ذلك. علي العموم انا مغتبطة جدا بما حدث. هذا سيسهل الامور لي جدا. لقد كنت في غاية التعاسة بخصوص ريجي. انه رجل طيب وهو ما كنت اقوله دائما لسنكلير. ان ما ننوي عمله سوف يسبب لريجي الما شديدا. لكن سنكلير كان يصر دائما أن ريجي سوف يتغلب بسرعة علي تعاسته، والظاهر انه كان علي حق. منذ يومين فقط كان ريجي في أشد حالاتٍ التعاسة. واليوم يدعو الفتاة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. الأمر كله مسل فقط. انه ليسعدني ان أري ريجي يمتع نفسه. ربما كان يعتقد هذا المسكين انه سيثير غيرتي بهذا الشكل. طبعا كلام فارغ. قلت له انه يستطيع أن يدعو صديقته بكل سرور. ومسكين ريجي لو خطر له ان فتاة كهذه يمكن أن تهتم به. انها تسلي نفسها.. مجرد تسلية.)

قالت مسز ماسنجتون: (لكنها فتاة شديدة الجاذبية. الي درجة خطيرة. فتاة لعوب لأهم لها الا الرجال. ولا أظن اطلاقا انها تكتفي بمجرد التسلية.)

(ثم انها ترتدي ملابس رائعة. وباهظة التكاليف.)

(ربما كنت علي حق.)

(هاهما قادمان...)

كان ريجي ويد ومادلين دي سارا يسيران عبر الحديقة وهما يتكلمان ويضحكان ويبدوان في أشد حالات السعادة. وألقت مادلين بنفسها علي مقعد وراحت تعبث بأصابعها في خصلات شعرها السوداء.

كانت بحق فتاة ورائعة الجمال. (لقد كانت نزهة رائعة. وأشعر الان بالحر الشديد. لابد أن مظهري في غاية الرداءة.)

وبدأ علي ريجي ويد الارتباك. كان عليه الان ان يقول شيئا اتفق عليه من قبل.

(انك تبدين.. انك تبدين) ثم ضحك بارتباك (لا.. لن أستطيع أن أقولها.)

وتقابلت عيناه وعينا مادلين. كانت نظرة تدل علي انسجام تام. ولم تفت هذه النظرة دون أن تلحظها مسز ماسنجتون الخبيرة.

واستدارت مادلين نحو مضيفتها: (انت تفتقدين الكثير بعدم لعبك الجولف. لماذا لا تمارسين هذه اللعبة؟ ان لي صديقة بدأت تمارسها منذ قليل وأصبحت ماهرة جدا فيها. وهي تكبرك في السن بكثير.)

أجابتها ايريس ببرود: (أنا لا أهتم كثيرا بهذه الاشياء.)

(لماذا؟ ألا تهتمين بالرياضة؟ مسكينة. انها تنشط الإنسان جدا. ثم أن فرص التدريب هذه الأيام أصبحت متاحة للجميع ويمكن لأي

شخص الان أن يتقن أية لعبة. في الصيف الماضي تقدمت جدا في التنس. ولكن مازال أمامي شوط بعيد في الجولف.).

وتدخل ريجي: (كلام فارغ. كل ما تحتاجين اليه هو قليل من الارشاد. ثم انك لعبت بمهارة اليوم ذلك لانك علمتني كيف العب. وانت مدرس عظيم. كثيرون لا يستطيعون أن يفعلوا مثلك لكنك موهوب. مدهش أن يكون الشخص في مثل مقدرتك. أنك قدير علي أن تفعل أي شيء.)

(لا. لا. اني أعرف أنه لا نفع في.. لا أستطيع عمل شيء).

ووجهت مادلين حديثها الي مسز ويد: (لا ريب أنك فخورة به جدا. كيف استطعت أن تحتفظين به كل هذه السنوات. لابد انك في منتهي البراعة. أو انك كنت تخبئينه في مكان ما).

وصمتت مضيفتها وانحنت تلتقط كتابا كانت تقرؤه ويدها ترتجف.

واستأذن ريجي لتغيير ملابسه وتركهما.

(جميل منك أن تستضيفيني هنا. نساء كثيرات يغرن أشد الغيرة علي أزواجهن . أنا شخصيا اعتقد أن الغيرة أمر تافه، أليس كذلك؟).

(قطعا. أنا نفسي لم أشعر قط بالغيرة علي ريجي.)

(هذا من حسن الحظ لان يجي من الرجال الجذابين جدا للنساء. أنا شخصيا صدمت عندما عرفت أنه متزوج. كل الرجال الجذابين يتزوجون صغارا.)

(يسرني انك تجدين ريجي جذابا.)

(انه فعلا جذاب. شكله وسيم. بارع جدا في الرياضة. وتظاهره بعدم المبالاة أمام النساء. وهذا يدفعنا نحن النساء نحوه.)

(أعتقد أن لك أصدقاء كثيرين من الرجال؟)

(طبعا. أنا أفضل صحبة الرجال عن النساء. النساء دائما يكرهنني ولا أدري لماذا؟)

(ربما لأنك ودودة جدا مع أزواجهن.) قالتها مسز ماسنجتون وهي تضحك.

(أحيانا كثيرة يشعر الشخص بالأسي نحوهم. هناك رجال كثيرون مرتبطون بزوجات مملات. زوجات مترفعات متحذلقات. والرجال يرغبون في امرأة ذكية نشيطة يستطيعون التحدث اليها. لذلك أقر الاتجاهات الحديثة بخصوص الزواج والطلاق. يستحسن أن يبدأ الانسان بداية جديدة وهو مازال صغيرا مع شخص يتفق معه مزاجا ورأيا. هذا أوفق للجميع في النهاية. النساء المتحذلقات يجدن دائما من يلائمهن من هذا الطراز الذي يطلق شعره. أظن أن الاوفق هو أن يتخلص الانسان من كل ارتباطاته ويبدأ من جديد، أليس كذلك يا مسز ويد؟).

(بكل تأكيد.)

واحست مادلين أن هناك نوعا من البرود الشديد حل بينهما، فاعتذرت بأنها تريد أن تغير ملابسها وتركت المكان.

وما أن ابتعدت حتي قالت مسز ويد: (مخلوقات كريهة، بنات هذه الأيام. رؤوسهن خاوية تماما من أي تفكير.)

فردت عليها مسز ماسنجتون: (هذه الفتاة لديها فكرة واحدة في رأسها. هذه الفتاة مدلهة في حب ريجي.)

(غير معقول!)

(بل قطعا صحيح ألم تلحظي نظراتها له. ثم أنه لا يهمها اطلاقا أن يكون متزوجا أم لا. والظاهر انها عقدت العزم علي أن تحتفظ به لنفسها. وفي رأيي أن هذا أمر بشع.)

وصمتت مسز ويد برهة، ثم ضحكت بارتباك: (ومع ذلك، فما يعنيني أنا من الامر؟)

وصعدت مسز ويد الي غرفتها لتغير ملابسها هي الاخري. فوجدت زوجها يغني وهو يرتدي ملابسه.

(هل امضيت وقتا طيبا يا عزيزي؟)

(نعم. الي حد ما.)

(رائع... أريد أن أراك دائما سعيدا.)

(نعم. الي حد ما.)

لم يكن في استطاعة ريجي ويد أن يتقن دوره. لكن ارتباكه وشعوره الداخلي ساعداه كثيرا. كان يتفادي نظرات زوجته. كان يشعر بخجل شديد ويكره الدور الذي يقوم به. وكل هذا ساعده في تمثيل دور الشخص المعذب الضمير.

وسألته فجأة زوجته: (منذ متي وانت تعرف هذه الفتاة؟)

(من؟)

(مس دي سرا طبعا.)

(آه. لا أدري. من فترة.)

(غريبة. انك لم تذكر لي شيئا عنها علي الاطلاق)

(صحيح؟ ربما نسيت.)

(نسيت؟). وغادرت مسز ويد الغرفة وهي ممتلئة بالحنق.

وبعد الفراغ من الشاي اصطحب مستر ويد مس دي سارا ليريها حديقة الزهور. وما ان بعدا عن الانظار حتي اندفع قائلا: (اسمعي. أظن أنه يستحسن أن ننهي هذه التمثيلية. منذ برهة حدجتني زوجتي بنظرة مملوءة بالكراهية.)

(لا تقلق نفسك. كل شيء يسير علي ما يرام.)

(أتعتقدين ذلك؟ لا أريد أن تكرهني. لقد قالت بعض الأشياء الجارحة أثناء تناول الشاي).

(قلت لك لا تقلق نفسك. كل شيء يسير حسب الخطة.)

(أصحيح هذا؟)

(نعم.) ثم أردفت بصوت هامس: (زوجتك الان تتلصص حول المكان. تريد أن تعرف ماذا نفعل. يستحسن أن تقبلني.)

(ضروري هذا؟)

(قبلني.)

وقبلها مستر ويد. واذا كان ينقصه الحماس فان مادلين تغلبت علي ذلك بسرعة وألقت بذراعيها حوله. وتراجع مستر ويد بضع خطوات.

(هل كانت القبلة كريهة الي هذا الحد؟)

(أبدا. لا. انما كانت مفاجأة. هل مضي علينا هنا وقت كاف؟)

وعادا الي الحديقة حيث أخبرتهما مسز ماسنجتون ان مسز ويد قد ذهبت لتستريح قليلا.

وبعد فترة، لحق مستر ويد بمادلين: (حالتها سيئة جدا. شبه هيستريا.)

(عظيم.)

لقد رأتك وأنت تقبلني). (وهذا بالضبط ما كنا نريده.)

(أعرف ذلك. لكن كل ما استطعت أن أقوله اننا فجأة وجدنا أنفسنا نتبادل قبلة.)

(هذا أيضا عظيم.)

(قالت أنك تنصبين شراكك حولي وتريدين أن تتزوجينني. وأنك لا تساوين شيئا. وهذا يضايقني لان هذا غير صحيح بالنسبة لك. اعني... انك تقومين بمهمة فقط. قلت لها اني اكن لك أشد الاحترام وان ما تقوله عنك غير صحيح. وأعتقد أنني غضبت جدا عندما تكلمت عنك بهذه اللهجة.)

(هذا رائع جدا.)

(ثم طلبت مني أن ابتعد عنها. وقالت انها لا تريد أن تخاطبني بعد اليوم. وقالت انها تريد أن تأخذ حاجاتها وترحل.)

وبدأ علي مستر ويد حيرة شديدة. فابتسمت له مادلين مشجعة: (سأقول لك الرد علي هذا. قل لها انك انت الذي ستأخذ حاجاتك وترحل. وتترك المدينة بأسرها.)

(لكن لا أريد أن أرحل.)

(أعرف ذلك. ولن يقتضيك الامر أن ترحل كل ما هنالك أنك ستدقع زوجتك الي نبذ فكرة أطلاق الحرية لك لتتمتع كما تشاء.)

وفي صباح اليوم التالي كان لدي ريجي ويد أخبار جديدة. (لقد قالت لي أنها فكرت في الأمر وقررت أنه ليس من العدل أن تترك المنزل الان طالما أنها وعدت أن تمكث ستة أشهر. لكنها قالت أنه طالما أني أدعو صديقاتي الي المنزل فان لها أن تدعو أصدقاءها. ولذلك قررت أن تدعو سنكلير جوردان.

(هل هو صديقها المعهود؟)

(أجل. ومن المستحيل أن أرفض وجوده في المنزل.)

(يجب عليك أن تقبل. لا تنزعج. سوف أتولي أنا أمره. قل لها انك فكرت في الأمر ولا مانع لديك من دعوته وانك تعرف انها لا تمانع اذا طلبت مني أن أبقي أنا الأخري.)

(لا تفقد أعصابك. كل شيء يسير سيرا حسنا. وبعد أسبوعين تنتهي كل متاعبك.)

(أسبوعين فقط؟ هل تعتقدين فعلا ذلك؟). (أعتقد أني علي يقين.) بعد أسبوع دخلت مادلين دي سارا مكتب مستر باركر باين وجلست في ارهاق علي كرسي.

(أهلا بك يا ملكة الفاتنات.)

(فاتنات!! وضحكت مادلين بجفاء.) في حياتي لم أكابد مثل هذه المشقة في مهنتي كفاتنة. هذا الرجل متيم بزوجته الي

درجة غريبة).

وابتسم باركر باين: (فعلا. علي أية حال لقد سهل هذا من مهمتنا. فما كنت أعرض أي شخص لجاذبيتك بهذه البساطة.)

وضحكت الفتاة: (ليتك عرفت مدي الصعوبة التي واجهتها لأحمله علي تقبيلي والتظاهر بأن الأمر راق له.)

(ها هي تجربة جديدة بالنسبة لك يا عزيزتي. وهل انتهت مهمتنا؟)

(أجل. أعتقد أن كل شيء علي ما يرام الان. كانت هناك مشادة حادة مساء أمس. دعني أفكر.. ان آخر تقرير لك كان منذ ثلاثة أيام.)

(اجل.). (كما قلت لك. مجرد نظرة الي هذه الحشرة سنكلي جوردان. ترك كل شيء وركز اهتمامه علي وحدي. ضللته بثيابي فأعتقد اني علي شيء من الثراء. وثارت مسز ويد طبعا. وجدت رجليها يركزان اهتمامهما علي. وقد تصرفت بطريقة عرفت منها بجلاء الي أي الرجلين كنت أميل: لقد سخرت من سنكلير جوردان، أمامه وأمامها. سخرت من ملابسه. من شعره الطويل. من هيئته المزرية.)

(مناورة بارعة يا صغيرتي.)

(وأمس وصلت الأمور الي درجة الغليان. وانفجرت مسز ويد تذكر علانية كل ما في نفسها:

اتهمتني اني أريد أن أدمر حياتها الزوجية. وأشار ريجي ويد الي موضوع سنكلير جوردان فقالت أن هذا ما كان الا نتيجة لتعاستها وشعورها بالوحدة. كانت تشعر أن زوجها يهملها ولا تدري لماذا. قالت

انهما كانا دائما في منتهي السعادة، وانها تعبده وانه يعلم ذلك تماما وانها لا تريد أحدا في الدنيا سواه.

وقد تدخلت في الحديث أنا وقلت انه لم يعد هناك سبيل الي التراجع الآن. ولعب مستر ويد دوره بمهاره.

قال انه لم يعد يهمه أي شيء وانه ينوي الزواج مني. وما علي زوجته الا أن تفعل ما شاءت مع سنكلير جوردان. وانه لم يعد هناك أي داع للتلكؤ في اجراءات الطلاق ولا فائدة ترجي من الانتظار ستة أشهر أخري.

وقال انه سيتصل فورا بمحاميه. انه لا يستطيع أن يعيش بعيدا عني. وضعت مسز ويد يدها علي البراندي. ولم يتراجع مستر ويد. وفي هذا الصباح ذهب الي المدينة ليقابل محاميه وليس عندي أي شك انها تسعي خلفه الان.)

وقال مستر باين بمرح: (اذن كل شيء علي ما يرام.

تمت القضية علي أكمل وجه.)

وفي هذه اللحظة انفتح الباب بعنف وظهر علي عتبته ريجي ويد.

وقال بلهفة: (هل هي هنا؟.. أين هي؟)

وما أن لمح مادلين حتي اندفع نحوها وأمسك بكلتا يديها: (حبيبتي. لقد أدركت جيدا أن كل ما قلته أمس كان صحيحا. كل كلمة قلتها لا يريس عنيتها تماما. لا أدري ما الذي حجب الحقيقة عني طيلة هذه المدة. لكن في الثلاثة أيام الأخيرة أدركت كل شيء.)

وسألته مادلين باستكانة: (ماذا ادركت؟)

(اني أعبدك. انك المرأة الوحيدة التي أحبها في هذه الدنيا ستحصل أيريس علي طلاقها وبعدها تتزوجيني أنت. قولي لي. سوف تتزوجيني. أليس كذلك؟ هل تقبلين يا مادلين؟ أني أعبدك. أحبك.)

واحتوي مادلين المبهورة بين ذراعيه في اللحظةِ التي فتح فيها الباب من جديد لتدخل امرأة تبدو في حالة كرب شديد. وما ان رأت ويد حتي صاحت:

(هذا ما كنت متأكدة منه. لقد تبعتك وأنا أعرف تماما انك ستقابلها.)

وحاول مستر باين أن يتغلب علي دهشته: (أريد أن أؤكد لك يا سيدتي...).

لكنها لم تعره انتباها واستمرت في كلامها: (ريجي هل تريد أن تحطم قلبي؟ أرجوك أرجوك أن تعود الي!! لن أذكر هذا الموضوع اطلاقا. سأتعلم الجولف أن أردت لن أصادق أحدا بغير موافقتك. أرجوك بعد كل هذه السنوات والايام السعيدة التي قضيناها سويا...)

قال لها ويد باصرار: (اني لم أعرف للسعادة طعما حتي اليوم. كفاك رياء يا اريس. انك كنت تريدين الزواج من هذا الأحمق جوردان. فلماذا لا تفعلين ذلك الان؟

وصاحت مسز ويد: (اني أكرهه. أكره حتي شكله.)

ثم استدرات نحو مادلين: (أيتها الخبيثة. أيتها الحشرة الدنيئة. تسرقين زوجي مني!)

فردت عليها مادلين بشرود: (أنا لا أريد شيئا من زوجك.) فصاح

بها مستر ويد في ألم: (مادلين!)

(أرجوك. دعني وشأني.)

(أصغي لي. أنا صادق في كل ما قلته لك.)

فصاحت مادلين في انفعال: (دعني وشأني. اذهب عني.)

وتحرك ريجي ببطء نحو الباب: (سوف أعود. اني لم أيأس بعد.)

وخرج وصفق الباب وراءه. وصاحت مسز ويد ثانية: (الفتيات أمثالك يجب أن يجلدن بالسياط. كان ريجي ملاكا حتي عرفك.) وهرعت خلف زوجها وهي تبكي.

وتبادل مستر باركر باين ومادلين النظرات

(لم أتمكن من المقاومة. أنه رجل طيب جدا. لكني لا أريد الزواج منه. لم أكن أظن اطلاقا ان الأمور يمكن أن تتطور الي هذا الحد. ليتك عرفت مدي الصعوبة التي واجهتها لأقنعه بأن يقبلني!!)

وقال مستر باركر باين بأسف واضح: (أعتقد أنه كان سوء تقدير من ناحيتي.)

وهز رأسه وهو يخرج ملف مستر ويد من درجه وكتب عليه: (فشل. لأسباب طبيعية. كان يجب التنبؤ بها).

* * *

قضية امرأة غنية



كان مستر باركر باين قد سمع من قبل باسم مسز ابنر رايمر وقد أدهشة أن يراها تطلب مقابلته.
ودخلت مسز رايمر الي مكتبه. كانت طويلة القامة، عريضة المنكبين، مترهلة الجسم، ترتدي معطفا واسعا من الفراء الثمين يزيد من ضخامة مظهرها. كان وجهها كبيرا تغطيه المساحيق. وشعرها الاسود مصفف بعناية وقبعتها محلاة بريش النعام.

والقت بنفسها علي المقعد وبادرت مستر باين:
(صباح الخير. اذا كنت تعتقد أن وراءك أي نفع، فساعدني في انفاق ثروتي).
(طلب غريب جدا. لا يطلبه الكثيرون هذه الأيام. هل تجدين صعوبة في ذلك يا مسز رايمر؟).
(نعم. صعوبة شديدة. عندي ثلاثة معاطف من الفراء وعدد لا يحصي من الفساتين وسيارة، ومنزل في بارك لين، حتي اليخوت املك واحدا منها مع اني لا احب البحر وعندي عديد من الخدم وسافرت الي معظم بلدان العالم. ولا يوجد الان اي شيء يمكن ان أشتريه أو أن أعمله).
(هناك المستشفيات). (ماذا؟ أعطي نقودي للاخرين؟ هذا مستحيل. هذه الثروة نتيجة عمل، عمل شاق. وانا أعتقدت اني سوف أمنحها للاخرين ببساطة كما لو كانت حفنة تراب فأنت مخطيء. اني أريد أن أنفق هذه

النقود. انفقها بنفسي واتمتع بها. فاذا كانت لديك أي أفكار مفيدة فساجزل لك العطاء). (اقتراح جذاب. فقط يجب أن تحدثيني أكثر عن نفسك).

(بكل سرور. أنا لا أشعر بخجل فيما يختص بنشاتي. عملت في عزبة. كنت فتاة صغيرة في هذا الوقت. عمل شاق ومضن. ثم نشأت علاقة بيني وبين ابنر. كان عاملا في الطاحونة المجاورة. واستمرت علاقتنا ثماني سنوات تزوجنا بعدها).

(هل كنت سعيدة؟). (جدا. كان رجلا طيبا. كان علينا أن نكافح كثيرا. فقد تعطل عن العمل مرتين. وكان عندنا أولاد. أربعة في ذلك الوقت ثلاثة أولاد وبنت. ماتوا كلهم في سن مبكرة. كان من الممكن أن يتغير كل شيء لو عاشوا).

وارتخت تعابير وجهها المتوترة، وظهر عليها فجأة كما لو كان عمرها قد نقص عدة سنوات

كان ابنر يعاني ضعفا في صدره لذلك رفضوا تجنيده في الحرب. وكان ناجحا في عمله كرئيس له وانجز عملية معينة بنجاح وكوفئ بسخاء. فاستغل مكافآته في عمله لحساب نفسه، وسرعان ما أصبح

صاحب عمل حيث اشتري مصنعين كانا علي وشك الإفلاس وادارهما بنجاح. وبعد هذا أصبح كل شيء سهلا وأخذت النقود تنهال علينا، ومازالت...

كان الأمر في بدايته مشوقا، منزل وخدم. لا تعب في المطبخ ولا غسيل ولا تنظيف. ارتدي الحرير وادق الجرس لاطلب الشاي. كنت متمتعة بحياتي كل المتعة اسافر الي باريس والريفيرا و...)

(أعتدنا الرفاهية. لم تعد هناك أية متعة في حياة الفخفخة هذه حتي الاكل لم نعد نشتهيه مع أنه في مقدورنا أن نطلب أي طعام من أي مكان في الدنيا.بدا ابنر يقلق علي صحته، وأنفقنا الكثير علي الأطباء بلا جدوي. جربوا معه طرق علاج مختلفة لكنها ضاعت كلها هباء. ثم مات صغيرا. كان عمره ثلاثا وأربعين سنة.

ومضي علي وفاته الان خمس سنوات. ومازالت النقود تتدفق. ولم يبق هناك شيء يمكنني أن أشتريه. عندي كل شيء. ففيم انفق كل هذه الأموال أذن، دبرني أيها المستشار العبقري..)

(أفهم من هذا أن حياتك أصبحت مملة. ولم يعد هناك شيء يثير اهتمامك.)

(اني أكره هذه الحياة. ليس لي أصدقاء. كلهم يسعون وراء نقودي ويضحكون علي. أصدقاء الايام القديمة لا شأن لهم بي. يتضايقون اذا ذهبت لزيارتهم في سيارتي).

(هل تستطيع عمل شيء من أجلي؟ هل يمكنك أن تقترح أي شيء؟)

(ربما استطعت. هذا الي حد ما. غير أني اعتقد أن هناك فرصة للنجاح. أعتقد انه يمكنني أن أعيد لك ما فقده أهتمامك بالحياة).

(وكيف يتحقق ذلك؟) (هذا سر المهنة. انا لا اكشف عن أساليبي. السؤال هو: هل تقبلين المجازفة؟ (اني لا أضمن النجاح، ولكني أظن أن هناك احتمالا لا بأس به في النجاح).

(وكم تتكلف هذه المجازفة؟) (سوف أضطر الي الالتجاء الي أساليب صعبة وقد يكلفك ذلك كثيرا. الف جنيه تدفع مقدما). (لا يهمني. سأدفع لك. اني متعودة علي أن أدفع أغلي الأثمان. لكني معتادة أيضا علي أن

أحصل دائما علي مقابل لما أدفعه).

(لا تخشي شيئا. ستحصلين حتما علي مقابل لنقودك.)

ونهضت مسز رايمر من مقعدها: (سأرسل لك الشيك هذه المساء. لست أدري ما الذي يدفعني للثقة بك. ربما أكون مغفلة لاني صدقتك عندما أعلنت في الصحف أنك تستطيع إسعاد الناس).

(هذه الاعلانات تكلفني الكثير. واذا كنت غير صادق في كلامي فان نقودي تكون قد ضاعت هباء. اني عليم بما يسبب التعاسة ولدي فكرة واضحة عن كيفية معالجتها).

وهزت مسز رايمر رأسها بارتياب وخرجت. ودخل الي المكتب كلود لوتريل وهو يسأل: (أهذا شيء في اختصاصأتي؟)

وهز مستر باين رأسه: (لا. ليس علي هذا القدر من البساطة. هذه الحالة صعبة معقدة. ويجب أن نقوم ببعض المجازفات. أشياء غير عادية).

(اختصاص مسز أوليفر؟) (مستر أوليفر لا تفيد في مثل هذه الحالة. اني افكر في طريقة أخري جريئة. أطلب لي الدكتور انتروباس).

(انتروباس؟)

(اجل. سنحتاج الي خدماته).

بعد أسبوع دخلت مسز رايمر مرة أخري مكتب مستر باركر باين. ووقف يحيها: (هذا التأخير كان ضروريا. كان علينا أن ترتيب أشياء كثيرة. وكان علي أن استخدم رجلا غير عادي حضر خصيصا من أوروبا).

وضغط مستر باين علي زر الجرس. ودخلت فتاة جميلة ترتدي زي الممرضات.

(هل كل شيء معد يا مس دي سارا؟)

(أجل. فالدكتور كونستانتين مستعد).

وسألته مسز رايمر بلهفة: (ما الذي ستفعله بي؟ (سوف نريك بعض سحر الشرق يا سيدتي العزيزة).

وصعدت مسز رايمر خلف الممرضة الي الطابق العلوي. وأدخلت غرفة لا تمت بصلة الي باقي المنزل. كانت كلها مؤثثة علي الطراز الشرقي. سجاد فاخر يغطي أرضها. مقاعد وثيره عليها وسادات ناعمة حريرية. وكان هناك رجل منهمكا في اعداد القهوة وقدمته الممرضة اليها: (الدكتور كونستانتين).

(كان يرتدي الملابس الاوروبية، لكن وجهه كان اسمر اللون وعيناه سوداوان ذات نظرات نفاذة. (هل هذه هي المريضة؟)

(أنا لست مريضة). وكان في صوت مسز رايمر نبرة تحد.

(جسمك ليس مريضا. لكن روحك متعبة. ونحن في الشرق نعرف كيف نعالج الأرواح. تفضلي بالجلوس وتناولي قدحا من القهوة).

وجلست مسز رايمر وتناولت الفنجان الصغير المقدم اليها. وبدأت ترتشف القهوة بينما أخذ الدكتور يتكلم: (هنا في الغرب يعالجون الجسد فقط. هذا خطأ. الجسد مجرد آلة. يمكننا أن نعزف عليها أي شيء. نغم متعب حزين أو نغم ضاحك سعيد. وهذا النغم الأخير هو ما سوف نحاول أن نقدمه لك. انت غنية وسوف تستطيعين أن تتمتعي بثرائك. وستصبح الحياة مرة أخري جديرة بالاهتمام. وهذا أمر سهل. سهل جدا).

وبدأ يسري في جسد مسز رايمر شعور لذيذ من المخدر. وأخذت

هيئة الطبيب والممرضة تتراقص امامها. بدأت تشعر بسعادة وبميل لذيذ للنوم. وبدأ كل شيء حولها يكبر ويكبر ويتسع..

وحدق الدكتور في عينيها: (نامي.. نامي. جفونك الآن ثقيلة. ستنامين بعد قليل. نامي... نامي..)

وانطبقت عينا مسز رايمر. وراحت تسبح في عالم غريب لكنه لذيذ...

وبعد أن فتحت عينيها بدا لها أن وقتا طويلا قد انقضي. تذكرت بعض الاشياء لكنها بدت لها غامضة مبهمة. أحلام غريبة وغير معقولة. بدأ لها أنها استيقظت ثم عاودت أحلامها مرة اخري. تذكرت انه كانت هناك عربة وفتاة شرقية في زي الممرضات.

علي كل حال، فقد كانت في فراشها الان ومتيقظة تماما.

لكن هل كان هذا فراشها؟ كان يبدو مختلفا بعض الشيء. يفتقد النعومة التي الفتها. كان يشبه فراشها القديم في الأيام التي كادت أن تنسي. وتحركت قليلا فصدر صرير عن الفراش، وكان سريرها في بارك لين لا يصدر صريرا لو تحركت عليه. وتلفتت حولها... من المؤكد انها ليست في بارك لين. هل في مستشفي؟ قطعا لا.

فانه لا يبدو علي هذه الغرفة سمات المستشفي. كانت الغرفة شبه عارية. وكانت في الركن منضدة صغيرة عليها اناء وابريق. وكانت هناك منضدة للتجميل ذات ادراج عديدة ودولاب معدني لحفظ الملابس. اما الملابس المعلقة علي الشماعة فكانت غريبة عليها لا عهد لها به. وكان الغطاء الذي فوق السرير مليئا بالرقع.. وغمغمت مسز رايمر: (أين أنا؟).

وفتح الباب ودخلت سيدة بدينة ذات خدود حمراء مشمرة عن

أكمامها وترتدي مريلة.

(ها قد استيقظت الآن. تفضل بالدخول يا دكتور).

وفتحت مسز رايمر فمها معتزمة أن تقول أشياء كثيرة، لكنها امسكت لا تتفوه بشيء اذا وجدت أن الرجل الذي تبع المرأة داخلا الي الغرفة لم يكن يشبه الدكتور كونستانتين. كان رجلا عجوزا محني الظهر يرتدي نظارات طبية سميكة.

وتقدم الرجل من السرير: (لا تخشي شيئا يا عزيزتي. كل شيء سيصير علي ما يرام).

(ماذا حدث لي؟ ماذا حدث لي؟)

(أزمة بسيطة. كنت غائبة عن الوعي لمدة يوم أو اثنين. لكن لا تقلقي بالك).

وصاحت المرأة البدينة: (لقد انزعجنا عليك جدا يا هانا. كنت تهذين وتقولين أشياء غريبة جدا).

وقال الطبيب: (كفي يا مستر جاردنر. لا يجب أن نزعج المريضة. سوف تكونين في اتم صحة بسرعة. اطمئني يا عزيزتي).

وقالت مسز جاردنر: (واطمذني أيضا من ناحية العمل يا هانا. ان مسز روبرتس تساعدني وكل شيء يسير علي ما يرام. فقط استريحي انت يا عزيزتي).

وسألتها مسز رايمر: (لماذا تدعوني هانا؟)

أجابت مسز جاردنر في ارتباك: (لأنه أسمك يا عزيزتي).

(ابدا. اسمي أماليا. أماليا رايمر. مسز ابنر رايمر).

وتبادل الطبيب ومسز جاردنر النظرات. ثم قالت مسز جاردنر: (حاولي أن تستريحي يا عزيزتي).

واردف الطبيب: (نعم. نعم. لا تجهدي فكرك بشيء). وانسحب الاثنان من الغرفة. وكانت مسز رايمر مرتبكة تماما. لماذا يدعوني هانا؟ ولماذا هذه النظرات ذات المغزي؟ أين هي الآن؟ وماذا حدث لها؟

ونهضت من الفراش لكن عندما وقفت ارتعشت ارجلها وبدأ عليها الضعف الشديد. لكنها تحاملت علي نفسها حتي وصلت الي النافذة الصغيرة ونظرت من خلالها. ووجدت أمامها حقلا ممتدا علي مدي البصر. وعادت الي فراشها حائرة تماما. ماذا تفعل هنا في ضيعة لم ترها في حياتها من قبل؟

وعادت مستر جاردنر تحمل صينية عليها طبق من الشوربة. وعادت مسز رايمر تردد أسئلتها:

(ماذا افعل هنا؟ من احضرني هنا؟) (لم يحضرك احد يا عزيزتي. هذا منزلك. انك علي الاقل عشت هنا منذ خمس سنوات. ولكني لم أعرف من قبل إنك معرضة لمثل هذه النوبات). (كنت أعيش هنا؟ طيلة خمس سنوات؟)

(تماما. ألا تذكرين شيئا علي الاطلاق يا هانا؟) (أنا لم أسكن هنا أبدا. لم أرك في حياتي من قبل). (انك طبعا لا تذكرين بسبب المرض الذي تعاني). (لم أر هذا المنزل من قبل في حياتي). (بالعكس يا عزيزتي). (وذهبت مسز رايمر الي التسريحة واحضرت صورة قديمة لاربعة أشخاص: رجل ذو لحية، امرأة بدينة هي مسز جاردنر، رجل طويل رفيع ذو ابتسامة جذابة، وسيدة في فستان من قماش مطبوع. هي بنفسها).

وحدقت مسز رايمر في الصورة غير مصدقة. ووضعت مسز جاردنر الحساء بجانبها وغادرت الغرفة دون أن تقول شيئا.

وبدون وعي تناولت مسز رايمر الحساء. كانت جيدة وساخنة. لكن عقلها كان دوامة من المجنونة: هي أم مسز جاردنر؟ لابد أن أحداهما مجنونة، لكن هناك الطبيب أيضا!

وقالت لنفسها بحزم: (أنا أماليا رايمر. انا أعرف جيدا اني أمالي رايمر. ولن يقنعني أحد قط بخلاف ذلك).

وانتهت من تناول الحساء وأعادت الصينية الي مكانها وجذب انتباهها صحيفة ملقاة جانبا. ونظرت الي التاريخ ١٩ اكتوبر. وبدأت تتذكر في أي يوم ذهبت الي مكتب مستر باركر باين. يوم ١٥ أو ١٥. اذن مضي عليها ثلاثة أيام وهي مريضة. وقالت بغضب: (هذا الطبيب اللعين).

لكن في نفس الوقت كانت قد بدأت تهدأ بعض الشيء. كانت قد سمعت عن اناس فقدوا ذاكرتهم لمدد تمتد بضعة أعوام. وكانت تخشي أن يكون قد حدث لها هذا وبدأت تقلب في الصحيفة بدون تركيز، حتي وقع نظرها فجأة علي خبر في أحد الأعمدة:

(مسز ابنر رايمر، ارملة ملك الصناعة، نقلت أمس الي مصحة أمراض عقلية، بعد أن مضي عليها يومان وهي تدعي انها خادمة تدعي هانا مورهاوس).

(المنافق باركر باين يحاول خدعة ما...)

لكن في هذه اللحظة سقطت عينها علي عنوان آخر في نفس الصفحة:

(ادعاء الدكتور كونستانتين)

(كشف امس الدكتور كلاوديوس كونستانتين عن بعض النظريات الغريبة في المحاضرة التي ألقاها قبل مغادرته لندن الي اليابان. قال انه قد أصبح من الممكن اثبات وجود الروح وذلك عن طريق نقل الروح من جسد الي جسد آخر. وادعي انه اثناء تجاربه التي كان يجريها في بلدان الشرق تمكن من القيام بعملية نقل ارواح مزدوجة لأشخاص منومه مغناطيسيا. وبعد صحوهم من التنويم كانت كل روح قد تقمصت جسد الآخر تماما. وقال انه لنجاح مثل هذه التجربة يجب أن يكون الشخصان متشابهين الي أقصي درجة. وقال أيضا انه حتي وان كان الشخصان علي درجة كبيرة من التفاوت الاجتماعي يمكن استبدال روحيهما اذا كانت ملامحهما الجثمانية متشابهة).

وألقت مسز رايمر بالصحيفة وهي تزمجر: (هذا الوغد السافل)

وبدا لها كل شيء مفهوم تماما. كانت مؤامرة محبوكة لابتزاز أموالها. كانت المدعوة هانا مورهاوس اداة لمستر باين وربما كانت بريئة هي أيضا. انما الذي دبر هذه المؤامرة كان قطعا باين وذلك الشيطان كونستانتين.

لكنها ستفضحه. ستكشفه امام الجميع. ستسلط عليه القانون.

غير انها تذكرت ان اول بادرة لاعتراضها علي وضعها الجديد كان ان وضعت في مصحة للمجانين. وضعوها في مصحة ويستحيل الآن عليها الخروج. واذا اكثرت من أقوالها هذه فسيثبتون عليها حالة الجنون. وسرت رعدة شديدة في جسدها. يجب عليها الا تخاطر أكثر من ذلك.

وفتح الباب ودخلت مسز جاردنر. (ها قد شربت الحساء. سيفيدك

ذلك كثيرا).

وسألتها مسز رايمر: (منذ متي وأنا مريضة؟)

(منذ حوالي ثلاثة ايام. يوم الاربعاء بالتحديد. حوالي الساعة الرابعة).

وازداد الموقف وضوحا لمستر رايمر. في هذه الساعة... الرابعة من يوم الأربعاء ادخلوها مكتب الدكتور كونستانتين.

واردفت مسز جاردنر: (سقطت عن كرسيك وانت تتأوهين وتقولين انك تريدين أن تنامي. ثم استغرقت في النوم. فنقلناك الي سريرك واستدعينا الدكتور. وها انت هنا منذ ذلك اليوم).

(اعتقد أنه ليست وسيلة للتحقق من شخصيتي الا عن طريق وجهي؟)

(غريب جدا. وهل هناك شيء أكثر اثباتا للشخصية من وجه الانسان؟).

(علي أية حال هناك شامة علي مرفقك الايمن. يمكنك التحقق من ذلك بنفسك).

وكانت مسز رايمر تعلم جيدا أنه ليست هناك أية علامات علي ذراعها فشمرت عن كمها وعلي مرفقها تماما وجدت العلامة... كبيرة مثل حبة الفراولة.

وانفجرت مسز رايمر تبكي.

بعد أربعة أيام نهضت مسز رايمر من فراشها، كانت قد استعرضت عدة احتمالات لما يمكنها أن تفعله لكنها غضت النظر عنها جميعا.

خطر لها أن تطلعهم علي الاخبار المنشورة في الصحيفة ثم تقص عليهم قصتها بحذافيرها.. لكنها عادت فرجحت انهم لن يصدقوا روايتها.

فكرت أن تذهب الي البوليس. لكنها رجحت أيضا أن البوليس لن يصدقها.

فكرت أن تذهب الي مكتب مستر باين. وكانت أكثر ارتياحا الي هذه

الفكرة. عندئذ يمكنها أن تقول لهذا الوغد رأيها فيه. غير انه كانت هناك عقبة كبيرة تعوق تنفيذ هذه الفكرة. انها الآن في كورنوال وليس لديها أي نقود تتيح لها الذهاب الي لندن. ولم يكن في حقيبتها الرثة أكثر من شلنين ونصف، ويبدو أن هذا هو ما كانت تمتلكه. لذلك وبعد مرور الايام الاربعة، قررت مسز رايمر أن تقبل وضعها الحالي مؤقتا. ستكون هانا مورهاوس تقوم بدورها حتي تحصل علي نقود كافية للذهاب الي لندن وتضع يدها علي هذا النصاب.

وكان لقرارها هذا أثر طيب علي معنوياتها. وكانت تشعر بأنها تتسلي وهي تقوم بدورها الجديد. وكان التاريخ يعيد نفسه لأن حياتها الجديدة كانت مشابهة تماما لحياتها وهي فتاة صغيرة.

طبعا كان العمل شاقا بعد سنوات الرفاهية التي عاشتها. لكنها بعد اسبوع تأقلمت تماما علي العمل في المزرعة. وكانت مسز جاردنر سيدة طيبة هادئة الطباع. وكان زوجها أيضا دمث الاخلاق. كان بالمزرعة عامل آخر ضخم الجثة يبلغ حوالي الخامسة والأربعين بطيء الكلام. ويبدو الخجل في عينيه الزرقاوين. ومرت الأسابيع. ثم حل اليوم الذي استطاعت فيه مسز رايمر أن تكمل أجر السفر الي لندن. لكنها ارجأت ذهابها، اذ لديها متسع من الوقت. ثم ان هذا الوغد باركر باين يستطيع في أي وقت أن يجد طبيبا يشهد بانها مجنونة ويساعده في عودتها إلى في مستشفي أمراض عقلية لا تخرج منه باقي حياتها.

ثم ان قليلا من التغيير قد يفيدها. كانت تستيقظ مبكرة وتعمل كثيرا. كان جو ولش، العامل الضخم، مريضا ذلك الشتاء. وتكلفت هي

ومسز جاردنر بالعناية به.

ثم جاء الربيع وتفتحت الورود. وتحسنت صحة جو ولش فبدأ يساعد هانا في عملها. وكانت هانا تصلح له ملابسه. وفي أيام الآحاد يذهبان أحيانا للنزهة في الحقول.

كان جو أرمل. ماتت زوجته من أربع سنوات. واعترف لها أنه بدأ يكثر من الشراب بعد وفاتها.

لكنه في هذه الأيام لم يعد يذهب إلي البار كثيرا. واشتري لنفسه بعض الملابس الجديدة.

وبدأت مسز جاردنر وزوجها يتضاحكان عليهما.

وكانت هانا تضحك كثيرا علي جو. تسخر من ارتباكه. وكان جو يبدو سعيدا من سخريتها.

ثم حل الصيف. وكان هناك عمل كتير. الي أن انتهي موسم الحصاد.

كان اليوم الثامن من اكتوبر عندما رفعت هانا رأسها اثناء العمل ووجدت مستر باركر باين يطل عليها من فوق سور الحقل.

وصرخت هانا، أو مسز راينر: (انت... انت..) ومضت تكيل له الصاع تلو الصاع حتي افرغت ما في جعبتها وانقطعت انفاسها.

وطيلة الوقت كان مستر باركر باين يبتسم: (اني اوافقك تماما علي ما تقولين).

(انت كاذب وغشاش. انت واطباؤك وهذه المسكينة هانا مورهاوس التي توجد الآن في مستشفي المجانين..)

(لا. هذا خطأ منك. ان هانا مورهاوس ليست في مستشفي للمجانين

لانه لا يوجد علي الاطلاق احد بهذا الاسم).

(هل تريدني أن أصدق هذا؟ ماذا من أمر الصورة اذن؟)

(مزورة طبعا. شيء من السهل جدا عمله). (وما نشر في الصحف عنها؟). (نسخة مزورة من الصحيفة أيضا). (وهذا النصاب دكتور كونستانتين؟).

(شخصية وهمية تقمصها صديق لي يمتاز بموهبة التمثيل). (أظن أنك ستقول لي أيضا أنني لم أنوم مغناطيسياً).

(نعم. كل ما هنا لك مجرد مخدر في القهوة حتي ننقلك الي هنا حيث تستعيدين الرشد).

(اذن مسز جاردنر كانت علي علم بكل شيء؟)

وهز مستر باين رأسه.

(رشوتها دون شك. أوملأت راسها بالأكاذيب).

(مسز جاردنر تثق بي. لقد انقذت ابنها يوما من المشنقة).

(وماذا من امر العلامة التي علي ذراعي؟). (لو رأيتها الآن لوجدت انها بدأت تضمحل. بضعة أشهر اخري وتزول تماما). (وما هو الغرض اذن من كل هذه الترهات؟ تضعونني هنا أعمل خادمة؟)

انا التي امتلك كل هذه الأموال! طبعا، بدون حاجة الي ان أسألك، بدأت تغترف انت منها كما شئت وهذا هو الغرض من كل ما حدث).

(صحيح حصلت منك، وانت تحت تأثير المخدر، علي توكيل منك يبيح لي التصرف كما شئت في أموالك. لكني أؤكد لك يا سيدتي العزيزة، انه بخلاف الألف جنيه التي اتفقنا عليها، لم أمس شلنا واحدا من نقودك. بالعكس بعد ان توليت انا الامور تحسنت أحوالك المالية).

وبدأ عليها الارتباك: (اذن... لماذا؟).

دعيني اسألك سؤالا واحدا. انت امرأة شريفة وارجو أن تجيبيني بأمانة هل انت سعيدة؟).

(سعيدة؟ هذا سؤال عجيب. تسرق نقود امرأة ثم تسألها ان كانت سعيدة!! انت فعلا وقح).

انك مازلت غاضبة. هذا طبيعي. لنترك أعمالي السيئة الآن.

عندما اتيت الي مكتبي يا مسز رايمر من سنة تقريبا كنت امرأة تعيسة.

هل تستطيعين ان تقولي انك تعيسة الآن؟ اذا كان هذا صحيحا اذن أنا آسف ولك ان تتخذي ما تشاءين من اجراءات ضدي. وسوف أعيد لك أيضا الألف جنيه التي دفعتيها لي. والان: (هل انت امرأة تعيسة يا مسز رايمر؟).

ونظرت اليه مسز رايمر طويلا، ثم أطرقت برأسها. (لا. لست تعيسة. لم أشعر بمثل السعادة التي اشعر بها الآن منذ وفاة ابنر. سوف اتزوج رجلا يعمل هنا. جو ولش. كنا سنعلن ذلك يوم الاحد القادم).

(لكن كل هذا تغير الآن طبعاً. كل شيء تغير الآن؟).

واحمر وجه مسز رايمر: (ماذا تعني، تغير؟ هل تظن أن كل أموال الدنيا تستطيع أن تجعل مني سيدة ارستقراطية؟ انا لا أريد الارستقراطية.

سيدة لا حول لها ولا قوة. أنا وجو متفقان تماما. سعداء فيما بيننا. أما أنت، أيها الطفيلي باركر، اذهب عنا ولا تتدخل فيما لا يعنيك).

وأخرج مستر باين ورقة من جيبه وناولها لها: (والتوكيل؟ هل امزقه؟).

ستتولين انت الآن ادارة أعمالك. اليس كذلك؟).

وبدأ علي وجه مسز رايمر تعبير غريب. ودفعت الورقة في يده:

(خذها. لقد قلت لك أشياء قاسية كثيرة. قد تستحق بعضها. انت رجل ماكر، لكني اثق بك. اريد سبعمائة جنيه هنا. سيكفي هذا لشراء مزرعة قريبة منا ونحبها كثيرا. أما الباقي، فأعطه للمستشفيات).

(اتريدين أن تقولي انك تريدين أن تهبي كل ثروتك للمستشفيات؟).

تماما. جو انسان طيب، لكنه ضعيف. اذا وجد نقودا كثيرة ستحطمه. لقد تمكنت من اقناعه بأن يقلل من الشراب. الآن أعرف تماما ما الذي سأفعله. ولن ادع المال يقف عقبة أمام سعادتي).

(انت امرأة فذة. امرأة من كل الف كانت تتصرف مثلك).

(اذن امرأة من ألف لديها عقل).

ورفع لها مستر باين قبعته محييا، ، ثم انحني لها باحترام شديد. واستدار ليغادر المزرعة.

(أرجوك). صاحت خلفه مسز رايمر. (لا تخبر جو بأي شيء).

ووقفت تنظر اليه وهو يبتعد والشمس من خلفهعا تميل للمغيب. كانت تمسك كرنبة كبيرة في يدها ومنجلا في اليد الاخري وكتفاها عريضان مشدودان.. تماما كاي فلاحة عريقة واثقة من نفسها.

(هل لديك كل ما تريدين؟)

(من هذه الناحية يا سيدتي).

وتقدمت المرأة ذات معطف الفراء لكي تتبع الشيال المحمل بالحقائب علي طول رصيف محطة (ليون). كانت تضع علي رأسها قبعة بونيه من التريكو البني الغامق تكاد تغطي احدي عينيها واحدي أذنيها.

لكن خصلات من شعرها الاشقر. كان مظهرها يدل علي انها امريكية. واستدار العديد من الرجال ليرمقوها بنظرات طويلة فاحصة وهي تسير برشاقة بجانب القطار.

ودخلت العربة المكتوب عليها (باريس استانبول). وقادها مفتش عربة النوم الي القمرة رقم ٦٠ وكادت تصطدم وهي تسير في الممر بشخص طويل القامة كان خارجا من القمرة المجاورة. ولا حظت بنظرة عاجلة أن في وجهه ونظرات عينيه ملامح الطيبة وسلامة الطوية.

وفتح المفتش نافذة القمرة بينما أخذ الشيال يرتب الحقائب علي الرف. واستوت المرأة جالسة ووضعت علي المقعد بجانبها حقيبة صغيرة قرمزية فضلا عن حقيبة يدها.

وكان الجو داخل القمرة حارا ومع ذلك لم يخطر لها ان تخلع معطفها وأخذت تحملق بشروط خارج النافذة.

وكان بائعو الصحف والمياه الغازية والشيكولاته والفاكهة يتجولون علي الرصيف يعرضون بضاعتهم لكنها لاهية عنهم. وكان الحزن والقلق باديين بوضوح علي محياها.

(هل تسمحين سيدتي بجواز السفر؟)

ولم تتنبه اليه المرأة. فأعاد المفتش عليها السؤال. فانتبهت مذعورة وفتحت حقيبة يدها وناولته الجواز. (سوف أقوم بكل الاجراءات بنفسي لاني سأكون برفقتك حتي استنانبول).

وأخرجت الي جيفريز ورقة من ذات الخمسين فرنكا دستها في يده. وتقبلها المفتش ببساطة وسألها متي تحبين أن يعدوا لك الفراش وهل

ترغبين في تناول العشاء. وانسحب بعد أن اجابت علي أسئلته.

وسمعت خادم المطعم وهو يمر بسرعة في الممر معلنا بدء تقديم العشاء، فنهضت من مقعدها وخلعت البالطو الثمين والتقطت حقيبة يدها وحقيبة مجوهراتها وخرجت من قمرتها. وما ان سارت خطوتين حتي رأت خادم المطعم عائدا وهو يهرول في الممر مرددا نداءه. ولكي تتفادي الاصطدام به تراجعت خطوة الي القمرة المجاورة وكانت خالية. وبعد ان عبر الخادم الممر وهمت بالخروج منها وقع بصرها علي الحقيبة الموجودة داخلها وعلي البطاقة الملصقة بها.

كانت تبدو مكتظة وبالية قليلا عند الجوانب. ومكتوب علي البطاقة: (باركر باين. مسافر الي استانبول).

وبدت علي وجهها الدهشة. ووقفت مترددة قليلا في الممر ثم عادت مسرعة الي قمرتها والتقطت صحيفة التايمز التي كانت موضوعة علي المنضدة بجانب عدد من المجلات والصحف الاخري.

جرت بعينيها بسرعة علي عمود الاعلانات بالصفحة الاولي حتي وجدت ضالتها. ثم عاودت سيرها الي عربة المطعم وهي مقطبة الجبين.

وقادها الجرسون الي مائدة صغيرة لشخصين. ووجدت ان الشخص الجالس أمامها هو نفس الشخص الذي كادت أن تصطدم به وهي ذاهبة الي قمرتها. نفس الشخص صاحب الحقيبة البالية.

وأخذت تختلس النظر اليه. كانت تبدو عليه الطيبة واللطف وكان هناك أيضا شيء صعب تعليله وهو انه يوحي لمن يراه بالثقة التامة. وكانت تصرفاته مهذبة ومتحفظة شأن الانجليز. ولم يوجه لها أية كلمة

حتي بدأ يتناولان الفاكهة.

(ان التدفئة في القطار مرتفعة الدرجة جدا). (جدا. ليتهم يفتحون النوافذ قليلا).

وابتسم الرجل: (مستحيل فان كل من في القطار سيحتج بشدة). وابتسمت هي الاخري. ثم انقطع الكلام بينهما.

وتناولا القهوة. ودفع كل منهما حسابه. ثم استجمعت ألسي شجاعتها:

(أرجو المعذرة. لقد قرأت الاسم المكتوب علي حقيبتك. المستر باركر باين. هل انت؟..)

وسكتت مترددة حتي تدخل هو: (أعتقد انني هو). وردد لها الاعلان التي كانت السي قد قرأته مرات عديدة في التايمز.

(يالها من مصادفة غريبة).

(ليست غريبة علي الاطلاق. ربما ترنيها أنت غريبة. أما أنا فلا أجدها كذلك).

وابتسم لها ومال ناحيتها قليلا عبر المائدة: (اذن انت تعيسة؟).

وقالت السي: (أنا...) لكنها توقفت فجأة عن الكلام.

(ما كنت تقولين انها مصادفة غريبة الا إذا كنت تحسين التعاسة).

وصمتت السي لحظة. كانت بدأت تشعر براحة بمجرد جلوسها مع مستر باركر باين) في الحقيقة. أنا تعيسة، علي الأقل، أنا قلقة).

وهز رأسه مشفقا. وأردفت: (لقد حدث شيء عجيب جدا. ولا أعرف اطلاقا كيف اتصرف حياله).

(لماذا لا تقصين علي كل شيء؟). وفكرت السي برهة. كثيرا ما سخرت هي وادوارد من هذا الاعلان اليومي. لم تكن تدري علي الاطلاق

انه سيأتي اليوم الذي تلجأ فيه الي صاحبه.. وفكرت للحظة أن مستر باين هذا قد يكون نصابا. لكنها سرعان ما طرحت الفكرة جانبا بسبب مظهره الذي يوحي بالثقة. وقررت السي أن تصارحه بأنها كانت علي استعداد لأن تفعل أي شيء لتتخلص من القلق الذي يعتريها.

(سوف اقول لك كل شيء. أني ذاهبة الي استانبول لالحق بزوجي. انه يقوم بأعمال كثيرة في الشرق وقد اضطر للسفر هناك هذا العام منذ اسبوعين. وسيقوم باعداد كل شيء لالحق به. وكنت متشوقة جدا للذهاب الي هناك فاني لم أسافر الي الخارج أبدا. لقد مكثنا فقط ستة أشهر في انجلترا).

(هل انتما امريكيان؟)

(نعم).

(وربما متزوجان حديثا..)

(منذ سنة ونصف)

وزواجكما سعيد؟)

(جدا. ادوارد ملاك. ربما لم يكن من الطراز المرح المنطلق فانه يميل الي التحفظ. لكنه ملاك). ونظر اليها مستر باركر باين قليلا ثم قال: (استمري). (بعد ان سافر ادوارد بأسبوع كنت جالسة الي مكتبه اكتب له خطاب. ولاحظت أن النشافة جديدة ونظيفة فيما عدا بضعة سطور. وبدافع من مجرد حب الاستطلاع الذي اكتسبته من قراءتي للروايات البوليسية.. قربت النشافة من المرآة لا قرأ ما عليها.

في الحقيقة لم أقصد شيئا يا مستر باين.. مجرد لعبة. لم افكر

اطلاقا في التجسس علي ادوارد. أعني انه هادئ جدا ومنطو ولا يمكن أن يتشكك فيه احد.

(نعم. نعم. اني أفهم موقفك تماما) كان من السهل جدا قراءة الكلام. كان هناك اولا كلمة (زوجة) ثم (قطار سمبلون السريع) ثم الكلمات (وربما كان أنسب وقت هو قبل وصول القطار الي فينيسيا).

ثم توقفت عن الكلام.

(شيء غريب فعلا. وهل كانت الكتابة بخط زوجك؟) (قطعا. لقد أرهقت ذهني بالتفكير ولكني لا أدري ما هي الظروف التي تدفعه لكتابة مثل هذا الكلام).

ورد مستر باركر باين: (ربما كان أنسب وقت هو قبل وصول القطار الي فينسيا، كلام غريب حقا).

وكانت مسز جيفريز منحنية نحوه وهي تنظر اليه مترقبة يحدوها الأمل: (ماذا استطيع ان أفعل؟)

(أعتقد انه علينا ان ننتظر حتي قبل الوصول الي فينسيا. حسب الجدول مفروض ان يصل القطار الي فينسيا في الثانية وسبع وعشرين دقيقة من بعد ظهر غد).

ونظر كل منهما الي الآخر برهة.(اتركي كل شيء لي).

بلغت الساعة الثانية وخمس دقائق. وكان القطار متأخرا عن موعده باحدي عشرة دقيقة. وكان مستر باركر باين جالسا مع مسز جيفريز في قمرتها. كانت الرحلة مريحة وخالية تماما من اي شيء يبعث علي الكدر. لكن الوقت كان قد حان لحدوث شيء ما، هذا ان كان هناك شيء

سيحدث علي الاطلاق.

كان القلق قد بدأ يعتري مسز جيفريز. وراحت تنظر في عيني مستر باين متلهفة.

(لا تخشي شيئا طالما أنا هنا. انت في امان تام فكوني هادئة). وفجأة انطلقت صرخة من الممر. (انظروا. انظروا. القطار شبت فيه النيران).

وقفز الاثنان الي الممر. ووجدا سيدة بدينة تشير بفزع الي مؤخرة الممر. ومن القمرة الأولي كان ينبعث دخان كثيف. وجريا نحو النار يتبعهما آخرون. كانت القمرة نفسها غارقة في الدخان من الداخل وجاء مفتش القطار علي عجل.

(لا تنزعجوا. لا تنزعجوا. هذه القمرة خالية وسنسيطر علي النيران فورا).

وكان الجميع يتكلمون في نفس الوقت. وكان القطار في هذه اللحظة يعبر الكوبري الذي يربط بين الجزيرة المقامة عليها فينسيا وشبه الجزيرة الايطالية.

وفجاة استدار مستر باركر باين، وشق طريقه خلال الزحام وعاد مسرعا الي قمرة السي. وهناك وجد السيدة البدينة جالسة وهي تلتقط أنفاسها بجانب النافذة المفتوحة.

(بعد اذنك يا سيدتي. أعتقد ان هذه ليست الصدمة.. وانا قلبي ضعيف).

وكانت تتنفس بصعوبة شديدة. وقال لها مستر باين وهو مازال واقفا عند باب القمرة: (لا تخشي شيئا. فالحريق بسيط جدا).

(حقيقة؟ لقد طمأنتني. يستحسن اذن ان اعود الي قمرتي). (سيدي.

ان هذه لا هانة).

(اعتقد انه يستحسن ان تبقي بعض الوقت). (سيدي. ان هذه اهانة).
(سيدتي. سوف تبقين هنا بعض الوقت).

وجلست المرأة وهي تنظر اليه شذرا. وبعد لحظة عادت السي الي القمرة.

وقالت وهي تلهث: (الظاهر انها كانت قنبلة دخان لا أكثر. حركة سخيفة جدا. المفتش في غاية الغضب ويستجوب كل شخص...)

وتوقفت عن الكلام عندما لاحظت السيدة الجالسة في قمرتها.

وسألها مستر باركر باين: (مسز جيفريز. ماذا تحملين في الحقيبة القرمزية الصغيرة؟). (مجوهراتي).

(يستحسن أن تلقي نظرة عليها وتتأكدي انه لا ينقصها شيء).

(يا الهي.. انها مفتوحة). وبعد برهة أردفت: (لقد ضاعت المجوهرات. كل شيء. السوار الماس. العقد الذي اهدانيه أبي. الخاتم الزمرد. والعقيق أيضا. والدبابيس الماسية. من حسن الحظ اني ارتدي اللآلي. ماذا سنفعل يا مستر باين؟).

(أرجوك أن تستدعي المفتش. ولن أسمح لهذه السيدة بمغادرة القمرة حتي يحضر.

وبدأت السيدة البدينة تكيل له السباب بينما القطار يهدئ من سيره ويقف علي محطة فينسيا.

وتوالت الاحداث بسرعة في نصف الساعة التالية. تحدث مستر باركر باين الي عدد من الرسميين بعدد من اللغات. ووافقت السيدة المشتبه فيها علي تفتيشها لكن لم يعثر علي أية شيء من المجوهرات معها.

وبينما القطار يقطع المرحلة من فينسيا الي تريستا، جلس مستر باركر باين والسي يتناقشان في الموضوع. (متي كان آخر مرة رأيت فيها المجوهرات؟) هذا الصباح. كنت أغير القرط الذي ارتديه أمس).

(هل كانت كل المجوهرات موجودة؟)

(طبعا لم اتفحصها جيدا. لكن قطعا كان شيء هناك. ربما كان احد الخواتم غير موجود بينها ولكن لم الحظ ذلك). (وعندما كان الخادم يرتب القمرة؟)

(كانت معي في عربة الطعام. دائما احتفظ بها معي. لم اتركها أبدا الا عندما جرينا نحو الحريق المزعوم).

(اذن. هذه السيدة البريئة المظلومة مدام سوبايسكا قطعا هي اللصة السارقة. لكن ماذا فعلت بالمجوهرات. انها لم تمكث اكثر من دقيقة ونصف وهذا يكفي بالكاد لان تفتح الحقيبة بمفتاح مصطنع وتأخذ محتوياتها. لكن ماذا فعلت بالمحتويات بعد ذلك؟).

(يجوز أن تكون قد سلمتها لشخص آخر).

(غير ممكن، لقد كنت في طريقي نحو القمرة وكان بامكاني أن أري أي شخص يخرج منها).

(ربما كانت قد القت المسروقات من النافذة لشخص ما).

(فكرة مدهشة. لكن تصادف أثناء الحادث ان القطار كان يمر فوق البحر. كنا وقتها نعبر الكوبري).

(اذن ربما خبات المسروقات في العربة).

(دعينا نبحث عنها).

وبدأت السي بحماسها الامريكي بينما اشترك معها مستر باركر باين

لكن بدون اهتمام واضح. ولما سالته السي عن السر في ذلك اجابها:

(اعتقد أنه يجب ان أرسل برقية هامة من تريستا).وتقبلت السي عذره ببرود. كان واضحا أن مستر باركر باين قد فقد الكثير من تقديرها.

فقال لها مستر باين بتواضع: (الظاهر انك متضايقة مني يا مسز جيفرين).

فردت ببرود: (الواقع انك لم تكن ناجحا تماما في المهمة).

(الحقيقة يا سيدتي العزيزة اني لست بوليسا سريا. السرقات والجرائم لا شأن لي بهما. أنا أتعامل فقط مع القلوب).

(كنت تعيسة قليلا عندما ركبت هذا القطار. لكن لا شيء يمكن مقارنته بحالي الان).

يمكنني أن انفجر باكية الي ما لا نهاية. مجوهراتي الجميلة. الخاتم الزمردي... هدية خطوبتي من ادوارد).

(لكنك قطعا مؤمنة عليها ضد السرقة). (مؤمنة عليها؟ لا ادري. أعتقد ذلك. لكن المهم هو القيمة المعنوية يا مستر باين).

وبدأ القطار يهديء من سرعته. ونظر مستر باركر باين من النافذة. (تريسنا. علي ان ارسل البرقية).

واضاء وجه السي فرحا وهي تري زوجها مسرعا نحوها علي رصيف استانبول. ولبرهة نسيت مجوهراتها المفقودة بل نسيت الكلمات الغريبة التي قرأتها علي النشافة بمكتب زوجها. وجرت نحوه فرحة للقاءه بعد غياب اسبوعين.

وبينما هما يغادران المحطة شعرت السي بمن يربت برفق علي كتفها. واستدارت فوجدت مستر باركر باين يبتسم لها:

مسز جيفريز. ارجوك ان تحضري لمقابلتي في فندق توكاتليان بعد

نصف ساعة. اعتقد ان عندي اخبارا حسنة لك).

ونظرت السي الي ادوارد بارتباك ثم قدمت مستر باركر باين له. (اعتقد ان زوجتك ابرقت اليك بخصوص ضياع مجوهراتها. ولقد كنت أحاول أن أفعل شيئا لاساعدها في العثور علي المجوهرات. واعتقد انه بعد نصف ساعة سوف يكون لدي ما اخبر كما به). ونظرت السي الي زوجها متسائلة. وأجابها فورا: (أعتقد انه من المستحسن ان تذهبي يا عزيزتي. هل قلت فندق توكاتليان يا مستر باين؟ حسنا، ساعمل علي أن تكون زوجتي هناك في الموعد).

وبعد نصف ساعة تماما كانت مسز باين تدخل الي الصالون الملحق بغرفة مستر باين.

(كنت تعتقدين أني خيبت ظنك يا مسز جيفريز.

حسنا. انا لا ادعي السحر لكني افعل كل ما بوسعي أن أفعله. انظري بداخل هذه العلبة).

ووضع علي المائدة أمامها علبة من الورق المقوي. وفتحتها السي. خواتم. دبابيس. اساور. كل شيء هناك.

(مستر باين. هذا مدهش! مدهش!).

وابتسم مستر باين بتواضع: (اني سعيد لاني مازلت عند حسن ظنك يا سيدتي العزيزة).

(لا تجعلني أشعر باني كنت وضيعة معك. منذ ان كنا في تريستا وتصرفاتي معك كانت في غاية السخافة.

ثم الان... لكن كيف حصلت عليها؟).

وهز مستر باين رأسه:

(انها قصة طويلة يا عزيزتي. ربما قلتها لك في أحد الايام. وربما عرفتها قريبا). ولماذا ليس الآن؟. (هناك أسباب). ورحلت السي دون أن تعرف القصة. وتناول مستر باركر باين قبعته وعصاه ونزل الي الشارع وهو يبتسم لنفسه. وسار حتي وصل الي قهوة صغيرة تطل علي القرن الذهبي. ونظر عبر المضيق الي مآذن استانبول وهي تميل الي الاحمرار في شمس الأصيل. كان منظرها أخاذا. وطلب قدحين من القهوة التركي. وكان قد بدأ يحتسي قهوته عندما جاء شخص وانزلق في الكرسي المقابل له. كان الرجل ادوارد جيفريز.

(لقد طلبت هذه القهوة لك). لكن ادوارد دفع القهوة جانبا. ومال نحو مستر باين: (كيف عرفت؟).

واستمر مستر باركر باين في تناول قهوته. (هل اخبرتك زوجتك عن الكلمات التي اكتشفتها علي النشافة في مكتبك؟

ستقوله لك حتما. ربما نسيت الامر مؤقتا). وذكر له ما اكتشفته السي علي مكتبه.

(وهذا يتفق تماما مع الحادث الغريب الذي وقع قبل وصولنا الي فينسيا. لسبب أو لآخر اردت أن تدبر سرقة مجوهرات زوجتك. لكن هذه الجملة عن أنسب وقت قبل الوصول الي فينسيا لم يبد لها أي معني. لماذا لم تترك لعميلتك تحديد الوقت والمكان المناسب؟

(وفجأة بدأ كل شيء واضحا. كانت مجوهرات زوجتك قد سرقت واستبدلت بمجوهرات زائفة قبل أن تغادر انت لندن. لكن هذا في حد ذاته لم يرضيك. انت بطبيعتك رجل ذو ضمير. كنت تخشي أن يتهم أحد من الخدم بالسرقة. اذن، يجب أن تحدث السرقة فعلا بطريقة تبعد الشبهة عن اي شخص تعرفه انت أو لك علاقة به.

(وزودتـك عميلتك بمفتاح مطابق لمفتاح صندوق المجوهرات. وكذلك بقنبلة دخان. وفي الوقت المناسب، تطلق عمليتك القنبلة، وتثير هلع بين المسافرين ثم تدخل مسرعة الي مقصورة زوجتك وتلقي المجوهرات الزائفة في البحر.

طبعا سوف تكون موضع شبهة، ويجري تفتيشها لكن لن يثبت عليها شيئ لانه لا توجد اية مجوهرات في حوزتها.

(وهذا يوضح تماما اختيارك للمكان. لو ان المجوهرات القيت الي جانب القضبان في أي مكان لامكن العثور عليها عاجلا أو آجلا. كان الامر المهم ان تلقي هذه المجوهرات في البحر.

(وفي نفس الوقت تكون انت قد اتخذت التدبيرات لبيع المجوهرات الحقيقية هنا. كل ما عليك أن تفعله هو ان تنتظر حتي تتم السرقة فعلا. لكن برقيتي وصلت اليك في الميعاد المناسب. ونفذت انت تعليماتي ووضعت المجوهرات في صندوق وتركته باسمي في توكتليان. ولم يكن لديك مجال للخيار لانك تعرف اني ما كنت اتردد في ابلاغ البوليس. وكذلك اطعت تعليماتي وحضرت لمقابلتي هنا).

ونظر ادوارد جيفريز الي باركر باين باستعطاف. كان شابا حسن الهيئة، طويل القامة أشقر الشعر.

(ما عساي استطيع ان اقول لك لتفهم موقفي؟ انك قطعا تحسبني مجرد لص عادي.

(أبدا بالعكس. انا أظن انك انسان شريف تماما. اني معتاد علي أن أميز طبائع الناس والان يستحسن ان تقول لي قصتك).

(يمكنني أن أقولها لك في كلمة واحدة. ابتزاز الاموال. (لقد عرفت في زوجتي امرأة نقية بريئة لا تعرف شيئا عن شرور الناس. ولها افكار

سامية. وإذا عرفت شيئا ارتكبته قبل زواجي، فسوف تهجرني).

(لا أدري. لكن هذا خارج عن الموضوع. وماذا فعلت يا صديقي العزيز؟ علاقة مع امرأة أخري).

واحني ادوارد رأسه مؤمنا. (قبل أو بعد الزواج). (قبل الزواج طبعا). (اذن ماذا حدث).

(لا شيء. لا شيء علي الاطلاق. وهذا هو أصل البلاء. كانت امرأة جذابة جدا. كمسز روسيتر. زوجها رجل شرس. هددها ذات ليلة بمسدس. فهربت منه ولجأت الي غرفتي وهي ترتعد خوفا. وطلبت أن تبقي معي حتي الصباح. فماذا كان يمكنني أن أفعل؟

وحدق الرجلان أحدهما في الاخر، ثم تنهد مستر باركر باين: (ضحكوا عليك بنفس اللعبة القديمة. دائما تنجح مع الشبان ذوي الشهامة. وأظن عندما علموا بزواجك. بدأوا يضيقون عليك الخناق؟).

(نعم. وصلني خطاب. اذا لم أرسل مبلغا معينا من المال سوف يقولون كل شيء لوالد زوجتي. كيف اني خدعت زوجة هذا الرجل، وسيرفع هو قضية لطلب الطلاق من زوجته التي تخونه معي. كنت في حيرة لا أدري ماذا أفعل). (دفعت ما طلبوه. ومن وقت لاخر كانوا يطلبون منك مبالغ اخري).

(نعم. وكان آخر طلب في وقت لم استطع ان أضع يدي علي أي مبلغ من المال. ففكرت أن أرتكب هذه الفعلة. لكن ماذا أستطيع أن أفعل الان؟ ماذا استطيع أن افعل يا مستر باين؟)

قال مستر باركر باين بحزم: (سوف أقوم بارشادك. سوف اتولي انا امر هؤلاء الذين يهددونك. أما عن زوجتك فستعود اليها حالا وتقص عليها

كل شيء. أو علي الاقل كل شيء فيما عدا كيف خدعتك هذه الشرذمة).

(لكن...) (يا عزيزي مستر جيفريز أنت لا تفهم النساء. اذا كان علي المرأة أن تختار بين دون جوان ومغفل فحتما ستختار الدون جوان أن زوجتك امرأة شريفة رقيقة مهذبة وكل الاثارة التي ستجدها في حياتها انها جعلت منك انسانا مستقيما. انا جاد فيما اقوله لك. زوجتك مدلهة في حبك الان. لكنها قد لا تستمر علي حبها لك اذا اظهرت نفسك امامها دائما بهذا الشكل الممل. اذهب اليها. اعترف لها بكل شيء. كل ما تستطيع أن تفكر فيه. ثم قل لها انه منذ اللحظة التي قابلتها فيها تخليت عن كل حياتك السابقة. لدرجة انك سرقت لكي تحول دونها وسماع مثل هذه الاشياء. وسوف تغفر لك كل شيء وتصفح عنك تماما.

(لكن اذا لم يكن هناك ما يستدعي الغفران والصفح؟)

(من حقائق الحياة الزوجية الاساسية الكذب علي الزوجات. سوف يسعدها ذلك. اذهب واظفر بغفرانها يا بني. وستعيش سعيدا مدي الحياة. سوف تفتح زوجتك عينيها جيدا بعد اليوم كلما مرت أمامك امرأة جميلة لكن لا أعتقد أن هذا سيضيرك). (أنا لا أبغي أية امرأة في الدنيا سوي السي). (عظيم جدا يا بني. لكن لا أعتقد ان عليك أن تقول لها ذلك).

وعاد ادوارد جيفريز يسأل: (هل تعتقد حقيقة...) ونهض مستر باين وهو يقول بحزم: (انا أعرف تماما ما أقول).



باب بغداد



أكان مستر باين واقفا في احد شوارع دمشق امام فندق الاورينتال حيث وقفت سيارة البولمان الفاخرة التي كانت ستقله هو واحد عشر شخصا آخرين عبر الصحراء الي بغداد في صباح اليوم التالي.

شتان الفرق الان. كان باب بغداد في وقت من الاوقات باب الموت. كان يؤدي الي اربعمائة ميل من الصحراء لا تعبرها الا القوافل. شهور من السفر المضني. أما اليوم فهناك البولمان الفاخر يقطعها في ست وثلاثين ساعة.

(بماذا تتمتم يا مستر باين؟). انه صوت مس نيتا برايس. أصغر وأجمل سائحة، لكنها كانت برفقة عمة عجوز صارمة تشك في كل رجل. وعلي اية حال كانت نيتا تتمتع بالرحلة الي أقصي حد علي الرغم من اعتراضات عمتها.

وكان يقف بجوارهما ثلاثة رجال يرتدون زي سلاح الطيران وكان احدهما معجبا بنيتا فتدخل قائلا: (مازالت هناك مغامرات مثيرة في رحلة كهذه).

وهتفت نيتا: (دعونا نذهب لزيارة بعض الأماكن). وأخرجت عمتها الدليل السياحي لاورورك: (قطعا ستؤثر عمتي مشاهدة الاماكن الاثرية. أما أنا فأريد التجول في السوق). وأخذها أورورك جانبا: (تعالي معي.

سوف نبدأ جولتنا من شارع..)

وابتعدا عن المجموعة.

واستدار مستر باركر باين نحو رجل هادئ يقف بجانبه يدعي هنسلي وكان يعمل في مصلحة الاشغال في بغداد، وقال: (ان دمشق تبدو جذابة من اول زيارة).واكتفي هنسلي بهز رأسه. وانضم لهما شاب كان مرافقهم في الرحلة، وكان وجهه الصبوح يبدو عليه بعض القلق. وكان زميلا لهنسلي في نفس المصلحة.(هل فقدت شيئا يا سميث هريست؟)

(لا شيء. فقط اتجول قليلا).

وسار الاثنان معا. وأخذ مستر باركر باين يتصفح جريدة محلية تصدر بالفرنسية. ولم تثر الصحيفة اهتمامه. كانت الاخبار المحلية لا تعنيه في شيء ولم يكن هناك أية أخبار خارجية مهمة. ثم وقع علي بعض اخبار قصيرة مصدرها لندن. كان أولها عن تطورات اقتصادية. والثاني عن المالي صمويل لونج الذي ابتز ما يقرب من ثلاثة ملايين جنيه ويبدو أنه في طريقه الي أمريكا اللاتينية.

وغمغم مستر باين: (لا بأس اطلاقا لرجل لم يتعد الثلاثين بكثير).

(ماذا تقول؟)

والتفت مستر باين ليجد أن محدثه ايطالي كان معه علي نفس الباخرة من برنديزي الي بيروت. وأعاد مستر باين ما قاله وشرح له الامر. فهز السنيور بولي رأسه عدة مرات: (انه لمجرم عريق. حتي نحن في ايطاليا عانينا منه الكثير كان يتمتع بسمعة طيبة وفهمت أيضا انه من عائلة كبيرة).

(كان خريج ايتون واكسفورد). وكان صوت مستر باين حذرا.

(وهل سيتمكنون من القبض عليه؟) (هل هذا يتوقف علي مكانه. ربما كان مازال في انجلترا.. أو في أي مكان آخر).

وضحك الايطالي: (هنا معنا مثلا؟) (وأم لا؟ ربما كنت أنا هذا الشخص).

وكان صوت مستر باين حادا. وبدا الانزعاج للوهلة الاولي علي وجه الايطالي، ثم عاد وابتسم: (هذا جميل.. جميل جدا.. لكن أنت..).

وبدأت عيناه تتفحصان مستر باين.

(ليس لك أن تحكم بالمظاهر. ان الانسان يستطيع ان يغير من مظهره بمنتهي السهولة. فيبدو الشخص أكبر من سنه الحقيقي بكثير. ثم من الممكن أيضا صبغ الشعر وتغيير لون البشرة. وحتي تغيير الجنسية أصبح سهلا).

وانسحب بولي وهو ينظر اليه بتشكك. لم يكن يستطيع أن يحكم اطلاقا متي يكون الانجليز جادين ومتي يهزلون..

وفي المساء ذهب مستر باركر باين الي سينما. ثم أمضي سهرته بعدها في كباريه وأحس هناك بضيق شديد اذا كانت تخيم علي المكان سحابة من المال، سواء من جانب الراقصات أو الزبائن.

وفجأة لمح سيميثهريست. كان الشاب جالساً بمفرده وكان وجهه محتقنا وظن مستر باين انه أسرف في الشراب. فذهب الي مائدته وجلس قبالته.

وبادره كابتن سميثهريست بضيق بالغ: (تصرفات هؤلاء الفتيات مثيرة للاشمئزاز. لقد قدمت لها كثيرا من المشروبات، ومع ذلك تركتني وخرجت ضاحكة مع شخص آخر. شيء حقير ومقذع).

واقترح عليه مستر باين أن يشربا قهوة. (لا. لا. لقد طلبت عرقي. مشروب رائع. هل جربته؟).

وكان مستر باركر باين يعرف العرقي وخصائصه. فحاول أن يثني الشاب عن الاسترسال في الشراب لكن سميثهريست هز رأسه بعناد: (أنا في ورطة: يجب أن أرفه عن نفسي. لا أعرف ماذا كنت تفعل لو أنك في مكاني. اني لا أحب أن أتخلي عن صديق. لكن ما عساي أستطيع أن أفعل؟). وفجأة أخذ يحدق في وجه مستر باركر باين وكأنما يراه لأول مرة. وكان العرقي قد فك عقدة لسانه: (من انت؟ وماذا تعمل؟). (عملي هو اكتساب ثقة الناس).

(ماذا.. انت ايضا؟) وأخرج مستر باركر باين قصاصة صحيفة من محفظته. ووضعها علي المائدة أمام سميثهريست. (هل انت تعيش؟ اذن استشر مستر باركر باين).

وأخذ سميثهريست يحدق في الورقة فترة حتي استطاع أن يركز عليها عيناه ويقرأها.

(يا للعنة! هل تريد أن تقول ان الناس تأتي اليك وتقص عليك مشاكلها؟).

(انهم يثقون بي). (قطعا كلهم من النساء الغبيات).

(كثير منهم نساء، هذا صحيح. لكن هناك أيضا رجال. وماذا عنك انت يا صديقي. منذ لحظة كنت تبحث عن نصيحة).

(لا شأن لك انت اطلاقا بهذا. هذا شأني انا فقط. أين هذا هذا العرقي اللعين؟).

وهز مستر باين رأسه. ويئس من محاولة استمالة كابتن سميثهريست.

وبدأت الرحلة الي بغداد في الساعة السابعة صباحا. كانوا اثني عشر شخصا في البولمان: مستر باركر باين، السنيور بولي، مس برايس وعمتها، الطيارين الثلاثة سيمتهريست وهنسلي، سيدة أرمنية تدعي بئتميان وابنها.

وبدأت الرحلة عادية. وسرعان ما ابتعدوا عن دمشق. كانت السماء ملبدة بالغيوم والسائق الشاب يتطلع اليها بين حين وآخر بقلق. ثم قال لهنسلي: (المطر يسقط بغزارة علي الجانب الاخر من الرطبة. أرجو الا يسبب هذا لنا المتاعب).

وفي الظهر توقف البولمان، وتناول المسافرون غداءهم بينما جلس السائقان يعدان الشاي ويوزعانه في أكواب من الورق. ثم بدأت الرحلة ثانية عبر الصحراء التي لا تنتهي.

وعند الغروب وصلوا الي قلعة الرطبة ودخلت السيارة البولمان من البوابة الضخمة الي فناء القلعة الداخلي. وصاحت نيتا بحماس: (يا له من مكان رائع!).

وبعد أن اغتسلوا صممت نيتا علي التنزه قليلا.

وعرض اورورك ومستر باين أن يصحباها ورجاهما المدير الا يبتعدا كثيرا عن القلعة لانه من الصعب الاهتداء الي الطريق بعد حلول الظلام. ولم تكن النزهة مثيرة لان الصحراء تمتد علي وتيرة واحدة لا تتغير.

ومرة انحني مستر باين والتقط شيئا من فوق الرمال. وسألته نيتا بشغف: (ما هذا؟)

(حجر صوان يا مس بيرسي. من العصر الحجري).

(هل كانوا يستخدمونه في أغـراض عديدة. لكني أعتقد انه يمكن استخدامه في القتل أيضا. ان الرغبة في القتل هي الاساس اما الاداة فلا أهمية لها علي الاطلاق. يمكن دائما العثور علي وسيلة للقتل اذا ما توافرت الرغبة.

وكان الظلام قد بدأ يحل بالارض فعادوا مسرعين الي القلعة. وبعد العشاء جلسوا يدخنون في انتظار تحرك البولمان في منتصف الليل كان السائق قلقا (الطريق ملئ بالحفر) وأخشي أن تنغرز السيارة في احداها).

وكانت نيتا متضايقة لانها لا تستطيع الوصول الي احدي حقائبها كانت تريد الحصول عليه خفيه. وقال لها سميثهريست: (يستحسن ان تُعدي حذاء المطر. من الجائز جدا أن نغرق في بحر من الطين).

(يا الهي! وليس عندي حتي جورب آخر!). (لا تقلقي. لن تغادري أنت السيارة. سيكون علينا نحن الرجال أن ننزل وندفعها).

واطفئت أنوار السيارة وبدأت تتحرك. كان الطريق رديئا للغاية وكثير المطبات. وكان مستر باركر باين يجلس في أحد المقاعد الاماميه وبجواره عبر الممر كانت تجلس السيدة الارمينية متلفحة ببطانية. وخلفها كان يجلس ابنها. وخلف مستر باين جلست مس بيرس وعمتها. وفي المقاعد الخلفية جلس بولي وسميثهريست وهنسلي والطيارون.

وسارت السيارة في الليل. ولم يستطع مستر باين ان ينام. كان المقعد غير مريح. لكن الاخرين جميعا كانوا نياما. وبدأ النعاس يراوده قليلا لكن المطبات كادت تخلعه من كرسيه. وزمجر النائمون في احتجاج ثم ما لبث ان عاودهم النعاس مرة أخري. لكنهم استيقظوا جميعا عندما انغرست السيارة وتوقفت تماما. ونزل بعض الرجال ومعهم مستر باين. كان المطر قد

توقف والقمر ساطعا. وكان السائقان منهمكين يضعان الاحجار خلف عجلات السيارة ويحاولان تثبيت الرافعة ورفع العجل المنغرز في الطين. وكان الرجال يساعدونهما قدر الامكان. وكانت السيدات يرقبن المشهد من نافذة السيارة.

وبدأ الرجال يحاولون رفع السيارة. ثم صاح أوروك فجأة: (أين الفتي الارمني؟ لماذا لا يحضر لمساعدتنا؟).

وأضاف بولي: (وكابتن سميثهريست. مازال داخل السياره هو الاخر).

(انه مازال نائما. انظروا اليه!) وفعلا كان سميثهريست لا يزال في مقعده. رأسه منحنية الي الامام وكل جسده مرتخ.

وصاح اوروك غضبا: (سأذهب لاوقظه). وقفز داخل السيارة. لكنه عاد مسرعا بعد لحظة وهو ينهج: (أظن انه مريض. هل هناك طبيب؟).

وكان قائد السرب لوفنتوس طبيبا في سلاح الطيران وهو رجل دمث الطبع ذو شعر أبيض.

وسأل أوروك: (ماذا به؟).

(لا أدري). ودخل الطبيب السيارة. يتبعه أوروك ومستر باركر باين. وانحني فوق الجسد المرتخي أمامه. وكانت نظرة واحدة ولمسة من يده كافية. (لقد مات).

وإنهالت الأسئلة: (مات؟ كيف؟ شيء فظيع!) وقال لوفتوس: (ربما اصطدمت رأسه بالسقف في المطب).

(لا يمكن أن يقتله هذا. ربما هناك سبب آخر. لن استطيع أن احكم الا اذا فحصته جيدا).

وتحدث مستر باركر باين قليلا مع السائق. كان شابا قويا يافعا.

فحمل النساء الثلاث كل علي حدة عبر حفرة الطين الي الارض الجافة. واخليت السيارة للطبيب ليجري الفحص اللازم. بينما عاود الرجال محاولاتهم لتخليص السيارة.

كانت الشمس قد بدأت في الشروق. وبدأ الطين يجف. لكن السيارة بقيت مغروسة. وكسرت ثلاث روافع في محاولات فاشلة لتخليصها. وبدأ السائقان يعدان الافطار.

وكان لوفتوس قد استقر علي رأي: (لا توجد به أية علامات أو جروح. كما قلت، في الأغلب أن رأسه اصطدمت بسقف السيارة أثناء المطب).

(هل انت متأكد اذن أن الوفاة طبيعية؟)

وكان في صوته نبرة جعلت الطبيب ينظر اليه مسرعا:

(هناك احتمال واحد. من المحتمل ان شخصا ضربه علي مؤخرة رأسه بشيء ثقيل يشبه مثلا كيسا من الرمل).

فقال ويليا مسون، احد الطيارين: (هذا غير محتمل. لا يمكن أن يكون أحد قد فعل ذلك دون أن نراه).

فقال الطبيب: (ربما كنا نياما وقتها).

(لكن الذي فعلها كان لا يستطيع التأكد من اننا نائمين).

وقال بولي: (الطريقة الوحيدة هو أن يكون الفاعل جالسا خلفه تماما. وفي اللحظة المناسبة ينفذ العملية حتي بدون أن يغادر كرسيه).

وسأل الطبيب: (ومن كان يجلس خلفه؟) فأجاب أورورك: (هنسلي يا سيدي القائد. وهذا طبعا محال لانه كان اعز أصدقائه.

وصمت الجميع برهة. ثم ارتفع صوت مستر باركر باين بهدوء وثقة:

(أعتقد أن الطيار ويليامسون لديه ما يقوله لنا). (أنا يا سيدي؟ انا) فصاح به أورورك: (تكلم. فورا). (لا شيء البته. لا شيء يستحق).(قلت لك تكلم فورا).

(سمعت جزءا من حديث ونحن في قلعة الرطبة..

في الفناء. كنت قد عدت الي السيارة لاحضر سجائري. وبينما انا أبحث عنها سمعت شخصين يتحدثان بجوار سيارة. كان أحدهم سيمث هريست. وكان يقول...)

وسكت عن الكلام حتي صاح به اورورك ثانية:

(اكمل حديثك. هيا). (كان يقول شيئا عن عدم التخلي عن صديق. كان يبدو في حالة شديدة من الكرب) ثم قال: سأسكت حتي نصل بغداد. لكني لن أسكت دقيقة واحدة بعد هذا. يجب أن تهرب بسرعة؟).(ومن كان الآخر؟)

(لا أعرف يا سيدي. أقسم لك. كان الظلام حالكا ولم يتكلم الآخر أكثر من كلمة أو كلمتين ولم استطع حتي أن أتبينهما جيدا). (من منكم يعرف سميشهريست جيدا؟).

فقال اورورك ببطء شديد: (لا أظن ان كلمة صديق تنطبق علي اي شخص سوي هنسلي. انا أعرف سميث هريست بعض الشيء. وويليامسون جديد هنا. كذلك قائد السرب لوفتوش. لا أظن أن أحدا منهم قد قابله قبل الرحلة). (وانت يا بولي؟).

(انا لم أقابله حتي ركبنا السيارة من بيروت في طريقنا الي دمشق). (والأرمني؟).فقال اورورك بحزم: (لا يمكن أن يكون هذا الفتي صديقا).

عندئذ قال مستر باركر باين: (اعتقد ان عندي دليلا صغيرا). وقص عليهم حديثه مع سميثهريست في الكباريه في دمشق.

ثم سأل مستر باين: هل لدي احد منكم شيئا يضيفه؟).

وسعل الطبيب ثم قال: (ربما لم يكن لهذا اية علاقة بالموضوع. لكني سمعت سميث هريست يقول لهنسلي مرة ربما كانت الاخبار تتسرب من القسم التابع لك).

ومتي كان ذلك؟). (قبل ان يغادر دمشق صباح أمس. كنت أظن انهما يناقشان مشاكل العمل. لم أتخيل أبدا..)

وتوقف عن الكلام. وساله مستر باين: (لقد ذكرت شيئا عن كيس من الرمل. هل يمكن لشخص أن يضع شيئا مشابها؟). فرد الطبيب: (الرمال موجودة حولنا في كل مكان).

وأضاف أوروك: (اذا وضعت رملا في فردة جورب...)

ثم صمت مترددا. وتذكر الجميع أن هنسلي كان قد ذكر في معرض الحديث الليلة السابقة انه دائما يحتفظ بجوارب احتياطي في جيبه.

فقال مستر باركر باين بهدوء: اظن مستر هنسلي كان يحتفظ بجوربه الاحتياطي في جيب معطفه. والمعطف موجود الان في السيارة).

وانتقلت اعينهم الي هنسلي الذي كان وقتها يتمشي بعيدا عنهم جيئة وذهابا منذ ان اكتشفت الجثة. واحترم الجميع شعوره وتركوه بمفرده.

وسأل مستر باركر لوفتوس: (هل يمكنك ان تحضر الجوارب يا سيدي؟)

وتردد الطبيب: (انا لا احب هذا. يبدو لي اننا نسيء التصرف).

(أرجوك ان تحضره أن الظروف غير عادية. نحن في ظرف حرج ويجب

أن نعرف الحقيقة. وقد يفيد الجوارب في الاقتراب من معرفة ما حدث).

وذهب لوفتوس الي السيارة. وانتحي مستر باين بالسنيور بولي جانبا: (أظنك كنت تجلس في المقعد المجاور لسيمثهريست عبر الممر).

(هذا صحيح). (هل رأيت أحدا يغادر مكانه في السيارة؟). (فقط مس بيرس العجوز. ذهبت مرة الي دورة المياه في مؤخرة البولمان). (هل تعثرت في مشيتها؟). (كانت تهتز قليلا بسبب حركة السيارة).

(وكانت هي الشخص الوحيد الذي رأيته يغادر مكانه؟).

(نعم). وسأل بولي باندهاش: (من انت؟ انك تتصرف كما لو كنت قائدا. لكنك لست برجل عسكري).

(لقد رأيت في الحياة تجارب كثيرة). (سافرت كثيرا، بدون شك).

(أبدا. أمضيت طيلة حياتي جالسا في مكتب).

وعاد لوفتوس بالجوارب. واخذه منه مستر باين وفحصه جيدا. كان بداخل فردة قليل من الرمل الندي عالقا بالجوانب. (الآن عرفت كل شيء). وانتقلت عيناه الي هنسلي الذي يسير وحيدا علي بعد. ثم أردف: (أريد ان افحص الجثة بنفسي، ان سمحت).

وذهب مع الطبيب الذي رفع الغطاء عن الجثة الممددة:

(لا يوجد شيء يستحق الرؤية).

لكن نظر مستر باين كان مركزا علي ربطة عنق الرجل الميت. (اذن سيمثهريست كان من خريجي أيتون).

وبدا الاندهاش علي وجه لوفتوش. وعاد مستر باركر باين يدهشه من جديد: (ماذا تعرف عن ويليامسون؟).

(لا شيء البته. قابلته في بيروت فقط. كنت واصلا لتوي من مصر. لماذا؟).

(لانه الوحيد الذي قدم دليلا يمكن ان يشنق بسببه رجل. يجب أن نكون علي حذر).

وكان مستر باين مازال مهتما بربطة عنق الرجل الميت وبياقة قميصه. وفك ياقة القميص وصاح بدهشة: (هل رأيت هذا؟).

في مؤخرة الياقة كانت توجد بقعة دم صغير. وبدأ يفحص مؤخرة العنق بدقة. (هذا الرجل لم يقتل بضربه علي الرأس. هذا الرجل طعن في مؤخرة الجمجمة. يمكنك أن تري الجرح الصغير).

(يا الهي: كيف لم ألحظ هذا؟).

(كنت مقتنعا برأيي من قبل. ضربه علي الرأس. وهذا الجرح من السهلَ عدم ملاحظته. طعنة سريعة بآلة صغيرة حادة بعدها الموت سريعا. لن تتمكن الضحية حتي من الصراخ).

(هل تقصد خنجرا مدببا؟ هل تظن أن بولي).. (طبعا الايطاليون والخناجر دائما يرتبطان في مخيلة الانسان.. ما هذا؟). (أري سيارة قادمة).

كانت هناك سيارة بدأت تظهر عند الافق. وانضم اليهما أوروك وهو يقول: (تستطيع النساء متابعة الرحلة في هذه السيارة).

فسأله مستر باين: (وماذا من أمر القاتل؟).

(تقصد هنسلي؟). (لا. لا أقصد هنسلي. انا واثق من ان هنسلي بريء).

(وكيف توصلت الي ذلك؟). (بسبب الرمل الموجود في جواربه). وحملق اورورك في وجهه. (أعرف أن هذا يبدو غير معقول. لكنها الحقيقة. سيمث هريست لم يمت من ضربة علي رأسه. لقد مات مطعونا).

ثم سكت لحظة وأضاف: (من طريقة كلام سميثهريست معي في الكباريه واهتمامه بموضوع الثقة في شخص ما. لقد قلت مرة مازحا أن مستر صامويل لونج الهارب قد يكون معنا في الرحلة. لنفرض أن هذا حقيقة).

(لكن هذا مستحيل). (ابدا. ما الذي تعرفه عن الناس اكثر مما هو مدون في جوازات سفرهم وما يرددونه عن أنفسهم. هل أنا حقيقة باركر باين؟ هل بولي في الحقيقة ايطالي... وماذا عن العمة بيرس التي تبدو وكأنها تحتاج لحلاقة ذقنها؟).

(لكنه.. أقصد سميثهريست لم يكن يعرف لونج).

(سميثهريست كان من خريجي ايتون. وكذلك لونج. لابد انه تعرف عليه، لكنه لم يقل شيئا. ولم يدر ماذا يفعل. كان شابا مستقيما. وكان الامر يقلقه. وقرر آخر الامر الا يقول شيئا حتي يصل الي هناك).

فسأله اورورك وهو مازال مدهوشا: (هل تظن أن أحدنا هو لونج؟).

ثم أضاف: (لابد انه الايطالي.. أو الارمني..).

(اسهل بكثير أن يظل انجليزيا عن ان يتظاهر انه أجنبي ويحصل علي جواز سفر أجنبي).

(العمة برايس؟).

فرد عليه مستر باركر باين بحزم: (لا. هذا هو رجلنا).

ووضع يده علي كتف الرجل المجاور له وضغطت أصابعه في جسمه بشدة. (قائد السرب لوفتوس أو مستر صامويل لونج، سمه كما شئت).

فهتف أورورك: (هذا مستحيل. لوفتوس في الخدمة منذ سنوات!).

(لكنك لم تقابله في حياتك من قبل. كان غريبا عليكم كلكم. طبعا هو ليس لوفتوس الحقيقي).

وتكلم الرجل أخيرا: (منتهي الذكاء منك. لكن بالله خبرني كيف عرفت؟).

(قرارك الغريب أن سميثهريست قتل علي أثر اصطدام رأسه بسقف العربة. كانت فكرة أو عزها اليك أوروك عندما كنا نتكلم في دمشق ليلة رحيلنا. ظننتها فكرة بسيطة. كنت الطبيب الوحيد بيننا واعتقدت اننا سنصدق أي شيء تقوله. كان من السهل أن تحصل علي آلة مناسبة في أمتعة لوفتوس. ثم تنحني عليه لكي تكلمه وأثناء حديثك تدفع بالسلاح في عنقه. ثم تستمر في حديثك دقيقة أخري. والعربة مظلمة. من كان سيشك فيك؟

(ثم تكتشف الجثة. وتصدر حكمك انت. لكن الامر لا يمر بالسهولة التي كنت تتخيلها. تتكاثر الشكوك. وتلجأ انت الي خطة دفاعية أخري. يعيد ويليامسون الكلام الذي سمعه يدور بين القتيل وهنسلي. وتضيف انت اليه دليلاً آخر عن حديث تدعي انك سمعته. ثم أقوم أنا باختبار صغير. اذكر شيئا عن الرمل والجوارب. وأطلب منك أن تحضر جوارب هنسلي لكي نعرف الحقيقة. لكن لم تكن الحقيقة التي ظننتها انت. لاني كنت فحصت جورب هنسلي من قبل وكان خاليا من الرمل تماما. انت الذي وضعت الرمل فيه.

واشعل صامويل لونج سيجارة: (ليس علي الا أن اعترف بالهزيمة. لقد تخلي عني الحظ. لقد بدأوا يضيقون علي الخناق منذ وصولي الي مصر. قابلت لوفتوس. كان ذاهباً في مهمة الي بغداد ولم يكن يعرف

أحدا هناك. كانت فرصة رائعة. كلفتني عشرين الف جنيه. مبلغ تافه بالنسبة لي. لكن الحظ اللعين يدفع سميثهريست في طريقي. شخص غبي كل الغباء. كان شديد الاعجاب بي في ايتون. كان يظنني بطلا من من الابطال. لم تعجبه فكرة الوشاية بي. حاولت معه كثيرا وأخيرا وافق أن ينتظر حتي نصل الي بغداد. ماذا كنت أستطيع أن أفعل في بغداد؟ لا شيء.. لكني أستطيع أن أؤكد لكم اني لست قاتلا بطبيعتي).

وفجأة تقلص وجهه وبدأ يتمايل في وقفته. ثم انحني علي وجهه وانحني أورورك فوقه.

قال مستر باين: (ربما كان حامض البروسيك. في سيجارته. لقد خسر المقامر آخر ورقة معه.



منزل في شيراز



كانت الساعة السادسة صباحا عندما غادر مستر بار كر باين بغداد قاصدا ايران.

كانت الطائرة الصغيرة ومقاعدها ضيقة و كان بالطائرة مسافران آخران. رجل ضخم قرر مستر باين انه كثير الكلام محب للثرثرة. وامرأة نحيلة تبدو عليها امارات العزم والتصميم قال مستر باين في نفسه: (علي الاقل لا يبدو عليهما انهما قد يحتاجان الي مشورتي).

وفعلا لم يكونا في حاجة اليها. كانت المرأة من طائفة المبشرين الامريكيين ممتلئة نشاطا وسعادة. اما الرجل فكان يعمل في احدي شركات البترول. كان الجميع قد تعارفوا قبل اقلاع الطائرة.

قال لها مستر باين(اما انا فمجرد سائح. في طريقي الي طهران ثم اصفهان وشيراز).

ونظر مستر باين من النافذة الي الأرض المنبسطة تحته. كانت صحراء جرداء.

وهبطت الطائرة في كير ما نشاه لفحص جوازات السفر والقيام بالاجراءات الجمركية المألوفة. وفتحت حقيبة مستر باين وكانت تحتوي علي علبة صغيرة من الورق المقوي أخذوا يفحصونها بعناية. ولما كان مستر باين لا يعرف الفارسية فانه وجد صعوبة كبيرة في الشرح والتوضيح.

وجاء اليهم الطيار وكان شابا المانيا أشقر الشعر، فسأله مستر باين اذ كان في وسعه أن يساعده، وطلب اليه أن يشرح لرجال الجمارك ان العلبة تحتوي علي بودرة ضد البق. ولما لم يفهم الطيار تماما أعاد عليه مستر باين الشرح بالألمانية. وترجم الطيار كلماته لموظفي الجمرك الذين ابتسموا لما يسمعونه.

واقلعت الطائرة مرة أخري. وفي حمدان حاول مستر باين أن يميز صخرة باهيستون حيث وقف داريـوس يشرح عظمة امبراطوريته وغزواته بثلاث لغات مختلفة البابلية والمديانية والفارسية.

ووصلت الطائرة الي طهران في الواحدة. وكانت هناك اجراءات بوليسية أخري. ووقف الطيار الالماني بجانب مستر باين وهو يجيب علي سلسلة طويلة من الاسئلة لم يفهم معظمها.

وبعد الاستجواب سأل الطيار: (ماذا قلت لهم يا تري؟).

(أن اسم والدك سائح. وأن عمك تشارلي. اسم والدتك بغداد وانك قادم من هاريت). (هل للامر اهمية؟).

(اطلاقا. كل ما يريدونه هو اجابة علي اسئلتهم).

ولم تعجب طهران مستر باركر باين. وقد صارح بهذا الرأي هير شلاجل الطيار عندما قابله مصادفة في الليلة التالية وهو عائد الي الفندق. ودعاه مستر باين الي العشاء معه فلبي الطيار دعوته.

وجلسا يتناولان العشاء. وبعد برهة سأل الطيار مستر باين: (اذن انت ذاهب الي شيراز).

(نعم. بالطائرة. ومن هناك الي اصفهان وبعدها اعود الي طهران

بالسيارة. هل ستقود الطائرة انت غدا الي شيراز؟).

(لا. فاني ساعود الي بغداد). (هل انت هنا منذ مدة طويلة؟).

(ثلاث سنوات منذ أن بدأ هذا الخط الجوي في العمل. والي الان الان لم تصادفنا حادثة واحدة). وأمسك خشب المائدة بيده. وجلسا يحتسيان القهوة ويدخنان. وبدأ الطيار يستعيد ذكرياته.

(وفي أول رحلة لي ركبت معي سيدتان انجليزيتان، احداهما ابنة وزير عندكم. ليدي استركار. وكانت فاتنة. ولكنها مجنونة بعض الشيء.

(مجنونة؟). (تماما. وهي تسكن الان منزلا شعبيا في شيراز وترتدي الملابس الشرقية. وترفض بتاتا مقابلة أي أوروبي. هل هذا يليق بسيدة عريقة بهذا الشكل؟). (هناك حالات كثيرة مشابهة. ليدي هيستر ستانهوب مثلا...).

لكن الطيار قاطعه: (لكن هذه المرأة مجنونة. عيناها تماما كعيني قائد الغواصة التي كنت اعمل عليها أثناء الحرب. انه الان في مستشفي للأمراض العقلية.)

وتذكر مستر باين لورد مايكل ديفر والد ليدي استركار. كان يعمل معه عندما كان وزيرا للداخلية. وكان قد رأي والدتها مرة واحدة. سيدة ايرلندية فائقة الجمال. لكن كانت هناك لوثة من الجنون في عائلة كار. تظهر بين حين واخر. أو بين جيل واخر. وماذا عن السيدة الأخري؟).

ماتت. كانت هناك نبرة غريبة في صوته جعلت مستر باين ينتبه اكثر.

ان لي قلبا عاطفيا حساسا. وكانت بالنسبة لي اجمل امرأة في الدنيا. انت تعرف كيف ان هذه الكوارث تحل فجأة. كانت زهرة يانعة.

ذهبت لزيارة أسرتها مرة في منزلهم في شيراز. وكانت صغيرتي خائفة من شيء ما. وعند عودتي في المرة التالية من بغداد علمت انها ماتت. ماتت.).

وصمت لحظة ثم أضاف مستغرقا في خواطره: (ربما قتلتها الاخري. كانت مجنونة. وطلب مستر باين كاسين من مشروب خفيف.

بعد ظهر اليوم التالي كان مستر باركر باين يلقي أول نظرة علي شيراز. وبدت كالزمردة وسط الصحراء القاحلة.

واعجبت شيراز مستر باين بنفس القدر الذي تعجبه به طهران. حتي بساطة الفندق أو ضيق الشوارع، كانا يثيران اعجابه ولا يبعثان فيه اي شعور بالمضايقة.

في ذلك الوقت كانوا يحتفلون بعيد النيروز الذي كان قد بدأ في الليلة السابقة والذي يستمر خمسة عشر يوما يحتفل خلالها الايرانيون بالسنة الجديدة. وتجول مستر باين في الاسواق الخالية. كانت كل شيراز تحتفل بالعيد.

وذات يوم مضي يتجول خارج المدينة زار مقبرة الشاعر حافظ واثناء عودته استلفت نظره منزل شرقي مشيد بالقيشاني الازرق والاصفر والوردي تحيط به حديقة جميلة بها اشجار البرتقال والورد... كان يبدو وكأنه بيت من بيوت الاحلام. وفي المساء كان يتناول العشاء مع القنصل البريطاني فسأله عن هذا البيت.

(منزل عجيب، اليس كذلك؟ بناه حاكم لورستان السابق الذي كانت وظيفته تدر عليه دخلا كبيرا. والان تسكنه امرأة انجليزية. لابد انك

سمعت عنها، الليدي استركار. امرأة مطبقة الجنون. مستشرقة تماما وتكره أن تتعرف علي أي شخص أو تعرف أي شيء كلما كان انجليزيا).

(هل هي صغيرة السن؟). (صغيرة جدا جدا علي هذا الجنون. حوالي الثلاثين). (كانت معها سيدة انجليزية أخري، أليس كذلك؟ ماتت علي ما أعتقد). (صحيح. منذ حوالي ثلاث سنوات. في اليوم التالي الذي توليت فيه منصبي هنا. كان القنصل السابق بارهام قد مات فجأة).

وساله مستر باين: فجاة (كيف ماتت)؟

(سقطت من البلكون في الطابق الاول. كانت وصيفة أو رفيقة الليدي استر، لا اذكر تماما. علي اية حال، كانت تحمل صينية الافطار ورجعت خطوة الي الوراء وسقطت. امر محزن تماما. لم نستطع اسعافها فقد تحطمت رأسها علي الصخر). (وماذا كانت تدعي؟).

(كنج علي ما أعتقد. او ويلز؟ لا. ويلز هي المرسلة. لكنها كانت فتاة جميلة).

(وهل اضطربت ليدي استر للحادث؟).

(نعم. لا. لا أدري كانت غريبة الاطوار. لا يمكن فهمها. لها شخصية قوية. كانت تخيفني بطريقتها الامرة وببريق عينيها).

وضحك معتذرا. ثم نظر باستفسار لرفيقه. كان مستر باركر باين يحدق في الفضاء وفي يده عود ثقاب مشتعل لم يقربه من سيجارته حتي حرق اصبعه. وانتبه علي نظرات القنصل وهو يحدجه متسائلا.

(اسف علي شرودي هكذا).

ثم تحدثا في مواضيع شتي.

وفي المساء، وعلي ضوء مصباح الغاز في حجرته جلس مستر باين يكتب خطابا وهو متردد كثيرا في طريقة صياغته. وفي النهاية استقر علي هذه الصيغة:

(يهدي مستر باركر باين تحياته الي الليدي استركار ويتشرف بابلاغها انه مقيم في فندق فارس لمدة ثلاثة ايام اذا رغبت الليدي في استشارته).

وارفق بالخطاب نسخة من اعلانه المعروف.

(يكفي هكذا. لقد مر علي الامر ثلاث سنوات الان. اعتقد انني سأنجح).

ونام هادئا في سريره غير المريح.

وفي الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم التالي حمل اليه خادم ايراني الرد.

(الليدي استركار يسرها أن تستقبل مستر باركر باين في التاسعة من مساء اليوم).

وابتسم مستر باركر باين.

فتح له المنزل نفس الخادم الذي أحضر له الرد. واقتاده خلال حديقة مظلمة وصعد به السلم الخلفي. ومن هناك اجتازا باب الي شرفة مكشوفة بها أريكة عريضة تستلقي عليها امراة فاتنة الجمال. كانت الليدي استر ترتدي ملابس شرقية، ولعل أحد اسباب تعلقها بهذه الملابس انها تلائم جمالها تماما. كانت ذقنها بارزة تدل علي قوة شخصيتها، كما وصفها القنصل.

(مستر باركر باين؟ تفضل بالجلوس).

واشارت بيدها الي كوم من الوسائد ولاحظ باين ان في اصبع يدها الاوسط خاتما كبيرا من الزمرد يحمل شارة عائلتها. ورأي أن الخاتم وحده يساوي ثروة.

وجلس علي خشية وقد شعر ان الجلوس علي الارض لرجل في مثل حجمه أمر غير مربح علي الاطلاق.

وجاء الخادم بالقهوة وبدأ مستر باين يحتسيها بتلذذ.

كانت مضيفته قد اتخذت عادات الشرق في التمهل وعدم العجلة. لم تبدأ بالحديث فورا، وإنما شربت هي الاخري قهوتها في بطء. واخيرا بدأت تتكلم.

(اذن انت تساعد الناس التعساء. أو علي الاقل هذا ما يدعيه اعلانك).

(نعم). (لماذا ارسلته لي؟ هل من عادتك أن تحاول القيام ببعض العمل اثناء رحلاتك؟).

كانت هناك نبرة من التحدي في صوتها لكن مستر باين اثر أن يتجاهلها.

(ابدأ. اني اذا سافرت فلكي أظفر بعطلة كاملة من عملي). (لماذا اذن ارسلت لي الاعلان؟).

وصمتت لمدة دقيقة. وبدأ هو يتساءل كيف يكون رد فعلها. الي أن ضحكت هي قائلة: (اعتقد انك تظن ان من يعتزل العالم ويعيش كما أعيش انا منفصلة تماما عن بني جنسي وعن بلدي لابد أن يفعل ذلك لأنه تعيس، يسبب الحزن أو خيبة الأمل. هل تظن انني اثرت المنفي لأحد هذه الاسباب؟ لكن كيف تستطيع انت أن تفهم غير هذا؟ هناك

في انجلترا كنت كالسمكة التي خرجت من البحر. اما هنا فاعيش شخصيتي تماما. انا شرقية بطبعي. أحب هذه العزلة. قد لا تفهم هذا انت. ربما تظن انني... (وترددت لحظة ثم قالت: (... مجنونة).

كان صوتها يدل علي الوثوق والتأكد. ونظرت اليه باستغراب.

(لكن الجميع يقولون اني مجنونة. المغفلين! العالم مليء بكل المتناقضات. علي اية حال انا سعيدة جدا).

(ومع ذلك طلبت مني المجيء). (اعترف اني كنت متشوقة لمقابلتك. انا لا أريد قط الرجوع الي هناك الي انجلترا لكن من حين لاخر احب أن أعرف ماذا يجري هناك...).

(في العالم الذي هجرته؟). وأومأت برأسها. وبدا مستر باركر باين يتكلم بصوته الهادئ والرزين. تكلم عن لندن وفضائح المجتمع هناك، مشاهير الرجال والنساء، المطاعم والنوادي الليلية الجديدة، سباق الخيل ورحلات الصيد في الريف. حدثها عن تطور الموضة وبيت الازياء الحديثة، عن المسارح والسينما والافلام الجديدة، عن الضواحي التي بنيت حول لندن وعن الحدائق وعن الزهور وعن ازدحام مترو الانفاق والاتوبيسات وعن كل شيء مهم وتافه يحدث في لندن.

كان كلامه ممتعا، مرتبا، ويدل علي المام شامل بكل شيء. كانت الليدي استر قد احنت رأسها، وتخلي عنها مظهر الكبرياء. كانت الدموع قد بدأت تسيل في هدوء علي خديها. وحالما انهي حديثه، تخلت عن حذرها وانفجرت باكية.

لم يقل مستر باين أي شيء. جلس صامتا يرقبها وعلي وجهه علامات

الرضا لان تجربته نجحت وآتت النتيجة المنشودة.

واخيرا رفعت راسها وقالت بحرارة: (هل أنت راض الان؟).

(أظن ذلك...). (كيف سأتحمل هذا.. بالله كيف سأتحمل هذا! ابق هنا الي الابد في هذا المكان! اني لا أري مخلوقا علي الاطلاق!).وحبست صرخة كادت تفلت منها في اخر لحظة، ثم أضافت:

(ماذا؟ لماذا لا تصارحني بالملحوظة المعتادة؟ اذا كنت أريد العودة الي هذا الحد فلماذا لا اعود؟).

هز مستر باركر باين رأسه: (لا. لا أظن ان الامر بمثل هذه السهولة بالنسبة لك).

ولاول مرة بدأ الخوف في عينيها: (هل تعرف لما لا استطيع العودة؟

(اظن ذلك). (انت مخطيء. لن يمكنك ابدا أن تخمن السبب الذي يمنعني من العودة).

(أنا لا أخمن. أنا أراقب، ثم أصل الي نتيجة).

وهزت هي رأسها: (انت لا تعرف شيئا علي الاطلاق).

(يظهر انه يجب ان اقنعك اني اعرف. عند حضورك الي هنا يا ليدي استر، استخدمت طائرات الخطوط الجديدة بين بغداد وهنا).

(نعم!). (وكان الطيار شابا المانيا. هر شلاجل، الذي جاء بعد ذلك لزيارتكم).

وتغير صوت مستر باين هو الاخر. بدا باردا حادا كالصلب:

(كانت معك الصديقة أو المرافقة. التي ماتت).

(مرافقتي). (اسمها؟). (مورييل كنج).

(كنت تحبينها؟)

(ماذا تعني احبها؟) ثم توقفت قليلا، واضافت: (كانت نافعة لي).

(هل حزنت لوفاتها؟). (طبعا.. لكن الحقيقة يا مستر باين، هل يجب أن نخوض في هذا).

كانت غاضبة، ولم تعطه فرصة للكلام بل أردفت علي التو: (كان جميلا منك جدا جدا ان تحضر. لكني متعبة الان. قل لي: كم هي اتعابك؟).

لم يتحرك مستر باركر باين. ولم يبد عليه حتي ان كلامها اغضبه. واستمر بهدوء في اسئلته.

(ومنذ موتها لم يحضر هرشلاجل لرؤيتك. لنفرض انه حضر، هل توافقين علي مقابلته؟).

(قطعا لا).

(ترفضين؟)

(بكل تأكيد. لن أسمح لهر شلاجل أن يدخل هنا). (فعلا. لا يمكنك ان تقولي غير هذا).

وكسر هذا من حدة كبريائها التي كانت تحتمي خلفها، وقالت بتردد: (لا أعرف ماذا تعني بهذا). (هل كنت تعرفين يا ليدي استر أن شلاجل كان هائما بموريبل كنج؟ انه شاب عاطفي ومازال يعيش علي ذكراها).

(هل هذا صحيح؟ قالتها فيما يشبه الهمس.

(كيف كانت مس كنج؟) (ماذا تعني كيف كانت؟ اني لي أن أعرف؟). (قطعا نظرت اليها أحيانا!) (آه، هكذا. كانت شابة جميلة). (في مثل

سنك تقريبا؟). (تقريبا) وتوقفت برهة ثم قالت: (ما الذي يجعلك تظن أن شلاجل كان يحبها؟).

(لانه قال لي هذا بنفسه، وبطريقة قاطعة. وكما قلت لك انه شاب عاطفي وكان سعيدا بأن يوليني ثقته. كان منزعجا جدا بسبب الطريقة التي ماتت بها.)

وقفزت ليدي استر واقفة: (هل تظن انني قتلتها؟)

ولم يتحرك مستر باين من مكانه: (لا يا طفلتي الصغيرة. لا اعتقد علي الاطلاق انك قتلتها. ولهذا السبب أعتقد انه من المستحسن أن تكفي عن هذه التمثيلية وتعودي الي الوطن.)

(ماذا تعني.. تمثيلية؟)

(الحقيقة ببساطة هو انك فقدت أعصابك. نعم. فقدت أعصابك تماما. كنت تخافين أن تتهمي بقتل سيدتك.)

واتت الفتاة بحركة مفاجئة.لكن مستر باركر استمر في حديثه.

(انت لست ليدي استركار. عرفت هذا قبل أن أحضر هنا. فقط كنت أجري تجربة صغيرة لامتحنك. كنت الاحظ جيدا وانا اتكلم. وكل ردود الفعل عندك كانت تطابق تماما مورييل كنج، لا استركار. دور السينما، المحلات التجارية، الضواحي والاتوبيسات والمترو. كل هذا أثر فيك. لم يؤثر فيك اطلاقا الكلام عن سباق الخيل أو فضائح المجتمع لانه لا يعني شيئا بالنسبة لك.).

واتخذ صوته نبرة أبوية حانية: (اجلسي وقصي علي كل شيء. أنا أعرف أنك لم تقتلي ليدي استركار لكنك تخشين أن يتهموك بذلك. احكي

لي كيف حدث كل شيء.)

وأخذت نفسا عميقا وجلست مرة أخري علي الاريكة وبدأت تتكلم باندفاع وبسرعة:(يجب أن أبدأ من البداية. كنت أخشاها. كانت مجنونة، مجنونة بالرجال. وانصرف عنها السائق ولم يعد راغبا فيها وانكشفت المسألة. وعرف أصدقاؤها سرها وسخروا منها. وهربت من عائلتها وجاءت لتقيم هنا.

(كان الامر كله عبارة عن هدنة تستعيد فيها كرامتها. الانعزال في الصحراء. كانت ستبقي لفترة ثم تعود الي الوطن. لكن اطوارها بدأت تزداد غرابة. كان هناك الطيار وتعلقت هي به. حضر هنا ليراني ويبدو انه اطلعها علي حقيقة شعوره هذا.

(والنتيجة انها انقلبت علي. كانت بشعة ومخيفة. وبدأت تفقد عقلها تدريجيا. تماما كما كان يحدث مع سائر افراد اسرتها وذات يوم استجمعت شجاعتي وواجهتها. وقلت انني اقوي منها واستطيع أن القي بها من الشرفة كانت خائفة، خائفة جدا. وكانت من قبل تظن اني مجرد حشرة تافهة. وتراجعت الي الوراء خوفا. تراجعت حتي سقطت من الشرفة.)

ودفنت موريل وجهها في يديها. وحثها مستر باين برفق:

(ثم ماذا حدث؟)

(خرجت عن وعيي. فكرت انهم سيتهمونني بأنني دفعتها من فوق الحاجز. فكرت انه لن يصدقني أحد. وأنه سيلقي بي في السجن هنا في ايران... وكنت أعرف أن هناك قنصلا بريطانيا جديدا لم ير كلينا لان القنصل القديم كان قد مات.)

(كان من السهل أن اتولي امر الخدم. كانوا يعتبروننا أمرأتين انجليزيتين مجنونتين. اغدقت عليهم النقود وطلبت منهم استدعاء القنصل البريطاني. وعند حضوره قابلته علي اني الليدي استر. وكنت قد لبست خاتمها. وكان القنصل رجلا ودودا وتولي هو جميع الترتيبات والإجراءات. ولم يبد علي احد أي شك في هذه الخدعة.)

(لكن بعد أن انتهي كل شيء ندمت علي ما حدث. وادركت انني كنت مجنونة مثلها: حكمت علي نفسي دون أن أدري بأن ألزم هذا المكان بقية عمري. لم أدر كيف يمكنني مغادرة هذا المكان. واذا اعترفت الان سأصبح أكثر تعرضا لتهمة القتل. خبرني بالله عليك يا مستر باين ماذا أفعل؟)

ونهض مستر باين واقفا: (ماذا تفعلين؟ ستأتين معي الان يا طفلتي العزيزة لمقابلة القنصل البريطاني، وهو رجل طيب ودود جدا. طبعا ستكون هناك بعض الاجراءات السخيفة ولا أستطيع أن أعدك ان كل شيء سيتم بسهولة. لكنهم لن يشنقوك بتهمة القتل. وبهذه المناسبة، لماذا كانت صينية الافطار موضوعة فوق جثتها؟).

(القيتها أنا عليها. ظننت أن هذا سيثبت انها.. هل كان هذا غباء مني؟).

(بالعكس في غاية البراعة. لدرجة انها النقطة الوحيدة التي جعلتني أفكر اذا كنت فعلا قتلت ليدي استر هذا الي أن قابلتك. عند رؤيتك تأكدت انه مهما فعلت في حياتك، فانك لا تستطيعين أن تقتلي أحدا.).

(هل تعني انه ليس لدي الجرأة؟).

(لا. ليس في طبيعتك. والان، هل نذهب؟ أمامنا عمل كريه يجب أن نؤديه لكن سأقف الي جانبك الي أن ننتهي منه وبعد ذلك نعود الي

الوطن. هل ستأتين؟).

وترددت موريبل كنج: (لن يصدقوني. عائلتها وكل الاخرين.)

(اتركي هذا لي. انا أعرف شيئا عن تاريخ العائلة. تعالي يا طفلتي وكفاك خوفا وتذكري أن هناك شابا في طهران قلبه معذب بسببك. ويحسن أن نرتب الامور بحيث تسافرين علي طائرته الي بغداد.)

وابتسمت الفتاة واحمرت وجنتاها خجلا: (اني علي استعداد.) وبينما هما يتجهان نحو الباب استدارت نحوه وسألته: (قلت انك عرفت انني لست ليدي استركار قبل أن تراني. كيف امكنك ذلك؟).

(من دراستي للاحصائيات). (احصائيات؟).

(نعم. كانت أعين لورد وليدي مايكل ديفر ذات لون أزرق. ولما حدثني القنصل ان ابنتهما عيونها سوداء عرفت أن هناك شيئا ما في الامر. الازواج ذو العيون البنية قد يرزقون باطفال عيونهم زرقاء. لكن العكس غير صحيح. حقيقة علمية فقط لاغير.).

(أعتقد أنك مدهش.)





اللؤلؤة الثمينة

كانت الجماعة قد أمضت يوما شاقا ومضنيا. كانت الرحلة قد بدأت من عمان في الصباح الباكر في جو حار ووصلت الي قلعة بترا الحمراء بعد الغروب.

كانوا سبعة أشخاص. مستر كيليب بلاندل، رجل صناعة امريكي غني وبدين. سكرتيره الوسيم جيم هيرست. سير دونالد مارفل، سياسي انجليزي عضو في البرلمان ويبدو في هيئة الاعياء. دكتور كارفر، عالم الآثار المشهور. كولونيل دي بوسك، رجل فرنسي ارستقراطي. مستر باركر باين، غير معروف المهنة لكن عليه سمات الوقار الانجليزي. ثم كانت هناك مس كارول بلاندل، فتاة مدللة جدا ومرفهة وفخورة بأن تكون المرأة الوحيدة بين ستة رجال.

وتناول الجميع العشاء في ضجة كبيرة وتكلموا كثيرا عن الاحوال السياسية في الشرق الادني. ولم يشترك في الحديث مستر باركر باين ولا عالم الآثار ولا جيم هيرست الذين آثروا الاستماع.

ثم تحدثوا عن مدينة بترا التي حضروا لزيارتها.

قالت كارول: (انها حلم يصعب وصفه. هؤلاء الذين عاشوا فيها حتي قبل أن يبدأ التاريخ!).

وتدخل مستر باين: (ليس الي هذا الحد. اليس كذلك يا مستر كارفر؟).

(اختلاف في مجرد الفي سنة. وكان سكانها ذويَ حيلة فقد أجبروا كل القوافل أن تعبر عن طريقهم هم بأن جعلوا كل الطرق الأخري غير آمنة. كانت بترا قلعة ابتزاز أموال).

وسألته كارول: (هل تظن انهم كانوا لصوصا؟ مجرد لصوص؟). (لم يكونوا لصوصا بالمعني العادي اعني انهم لم يكونوا يقومون بسرقات بسيطة. وانما كانوا لصوصا علي نطاق واسع).

وساله مستر باين في خبث: (مثل رجال المال في عصرنا هذا؟). وضحكت كارول: (عليك أن ترد انت علي هذا يا أبي).

وقال مستر بلاندل: (أن الانسانية تستفيد من رجال المال).

ورد مستر باين: (والانسانية غير معترفة بالجميل).

وقال الفرنسي: (لا توجد قيم ثابتة في العالم. القيم تختلف باختلاف البلاد والعادات. وما يعتبر سرقة في مكان قد لا يعتبر كذلك في مكان آخر).

وتدخل سير رونالد: (اللص يظل طوال عمره لصا. لا يغير من امره زمان أو مكان).

وساد السكون فترة، ثم بدأت كارول تشكو من لسعات البعوض ومال سير دونالد علي مستر باين وهمس في اذنه: (يبدو ان كلامي كان كالصخر).

(أمر لافت للنظر فعلا).

ومهما كان الحرج واضحا الا أنه كان هناك شخص يبدو لاهيا تماما عما يقال. وهو عالم الآثار الذي جلس صامتا ساهما كأنه غائب عن كل

ما يدور حوله. الي ان قال فجاة: (أنا موافق علي هذا الرأي تماما، لكن بطريقة عكسية أن الرجل أما أن يكون شريفا من الاصل أو غير شريف. ولا يمكن تغيير هذا الي ذلك).

وسأله مستر باين: (ألا تعتقد أن تجربة مفاجئة مثلا قد تجعل من الرجل الشريف مجرما؟).

(مستحيل). وهز مستر باين رأسه: (لا أستطيع ان أقول مستحيل. هاك عوامل عديدة يجب ان نأخذها في الحسبان. هناك النقطة التي ينهار معها كل شيء).

وتكلم هيرست لاول مرة: (ماذا تعني بالنقطة التي ينهار معها كل شيء؟).

(ان العقل مجهز ليتحمل ثقلا معينا. والشيء الذي قد يجعل رجلا شريفا يتحول الي مجرم قد يكون امرا تافها للغاية. لهذا كانت معظم الجرائم لا معني لها، لان سببها في تسعة أحوال من كل عشرة هو هذا الامر التافه القشة التي تقصم ظهر البعير).

وقال الفرنسي: (هذا كلام في علم النفس يا صديقي). ورد مستر باين وهو يفكر حالما: (اذا كان المجرم عالما نفسانيا فانه يصبح مجرما عاتيا. تصور انه بين كل عشرة أشخاص تقابلهم تسعة منهم يمكنك أن تؤثر عليهم ليفعلوا ما شئت اذا أخضعتهم للتأثير المناسب).

وصاحت كارول: (أرجوك. أشرح لنا هذا).(هناك الشخص الذي يمكن التأثير فيه بمجرد الصراخ. اذا صرخنا فيه اطاع. وهناك الشخص العكسي تماما اذا صرخنا فيه فانه يتصرف في اتجاه عكسي لما نريد

منه أن يفعل. ثم هناك الاشخاص الذين يمكن الايحاء اليهم وهو اعم الأصناف. هؤلاء الذين اذا سمعوا مثلا صوت محرك دائر يمكن الايحاء اليهم بانهم يرونه فعلا. أو الذين يرون السكين في الجرح اذا قيل لهم ان شخصا ما قد طعن أو يؤكدون انهم سمعوا طلقة مسدس اذا قيل لهم أن شخصا اصابته رصاصة).

قالت كارول في تشكك: (لا أظن أن أحدا يستطيع أن يوحي الي بمثل هذه الاشياء).

وقال أبوها: (ذلك لانك في منتهي الذكاء يا حبيبتي. وقال الفرنسي: (لكن هذا الكلام صحيح، فالفكرة وتثاءبت كارول (سأذهب الي فراشي. أكاد أموت من التعب. وعباس أفندي قال اننا سنبدأ مبكرين في الصباح لكي نستطيع رؤية مكان تقديم الضحايا، اذا كان هذا يعني شيئا).

وقال سير دونالد: (كانو يقدمون الفتيات الجميلات قربانا هناك).

(أرجو عكس ذلك. علي العموم، أسعدتم مساء جميعا. آه لقد سقط قرطي!) والتقطه كولونيل دي بوسك من فوق المائدة حيث سقط، وأعاده اليها.

وسألها سير دونالد فجأة: (هل الألئ حقيقية). وكان ينظر بوقاحة الي اللؤلوتين الكبيرتين اللتين تحليان أذنيها.

وردت كارول: (طبعا حقيقية). وقال أبوها: (دفعت ثمانين الف دولار ثمنا لهما. ومع ذلك تضعهما بكل اهمال ويسقطان منها طيلة الوقت. اتريدين أفلاسي يا صغيرتي؟).

(لن تفلس حتي ولو كان عليك أن تشتري لي قرطا جديدا). (ربما لن

أفلس. ففي وسعي ان أشتري لك ثلاثة دون أن يهتز حسابي في البنك). ونظر حوله بافتخار. وقال له سير دونالد: (انك رجل محظوظ).

وخـرج مستر بلاندل يتبعه هيرست. وابتسم الاربعة الآخـرون باستخفاف.

قال دي بوسك: (لديهم مال كثير هؤلاء الامريكان). وقال مستر باين بهدوء: (من العسير أن تقوم مودة بين الفقير والغني). وضحك الفرنسي: (من الحسد والغيرة؟ انت علي حق يا سيدي. كلنا نريد أن نصبح أغنياء، نشتري أقراطا لؤلؤية عديدة. ربما فيما عدا هذا السيد).

وانحني في اتجاه مستر كارفر الذي كان كالمعتاد ساهما. وكان في هذه المرة يعبث بشيء صغير في يده. وتنبه الي أن الجميع ينظرون اليه:

(ماذا؟ آه. يجب أن أعترف لكم اني أكره اللآليء الكبيرة. طبعا هناك فوائد عديدة للمال. لكن هناك شيئا أهم ألف مرة من اللآليء).

(وما هو؟). (آنه ختم اسطواني من الهماتيت الاسود. منقوش عليه صورة لآله يقدم فروض الولاء لآله آخر أعلي منه مقاما. والقربان الذي يقدمه هو طفل صغير. وخلف الاله الاكبر يقف مارد يهش الذباب من حوله بسعف النخيل. والنقوش تدل علي ان الرجل كان خادما لحامورابي. أي أن تاريخ الختم يرجع الي ما قبل أربعة آلاف سنة).

واخرج قطعة من الصلصال من جيبه وبسطها علي المائدة ثم ضغط عليها الخاتم وقطعها بمطواة صغيرة ورفعها عن المائدة. وكان المشهد الذي وصفه لهم واضحا تماما علي الصلصال. ووقف الجميع

يشاهدونه وهم مبهورون. الي أن جاءهم صوت مستر بلاندل عاليا من الخارج:(اخرجوني من هذا المكان اللعين وضعوني في خيمة أخري. ان الملاعين (غير المتطورين) كادوا يقضون علي. انهم يلدغون بشدة هذا المساء. ولا يمكنني أن أنام).

وتساءل سير دونالد: (غير المتطورين؟). فرد عليه دكتور كارفر: (ذباب صحراوي بدون شك).

وقال مستر باركر باين: (تعجبني هذه التسمية. غير المتطورين. انه اسم شديد الايحاء).

بدأت الرحلة في فجر اليوم التالي. وسارت القافلة ببطء لان دكتور كارفر كان يسير وعيناه مثبتتان علي الارض وهو ينحني من وقت لآخر ليلتقط شيئا.

قال كولونيل دي بوسك: (من الممكن دائما التعرف علي علماء الآثار. انهم لا يتطلعون ابداً الي السماء أو التلال أو حتي الي جمال الطبيعة. دائما ينحنون الي الارض يبحثون).

وسألت كارول: (هذا صحيح لكن عما يبحثون؟ ما هي الاشياء التي تلتقطعها يا دكتور كارفر؟).

وأراها دكتور كارفر قطعتين من الفخار القديم وهو يبتسم. فقالت كارول باحتقار: (هذه الاشياء التافهة!!) (ان الفخار أكثر اثارة للاهتمام من الذهب). ونظرت اليه كارول غير مصدقة. ووصلوا الي منحني ومروا بجانب ثلاثة مقابر منحوته في الصخر. وبدأ الصعود الشاق. صعد أمامهم رجال البدو بسهولة دون أن ينظروا مرة الي اسفل.

وأصفر وجه كـارول. ومد لها أحد البدو يده. وقفز هيرست بسرعة امامها ومد لها أيضا عصاه. وشكرته كارول بابتسامة. وفي دقيقة كانت واقفة في امان علي قمة الصخرة. وتبعها الآخرون وكانت الشمس قد استوت في كبد السماء وبدأت الحرارة تشتد. وأخيرا وصلوا الي هضبة بالقرب من القمة. وبعد صعود سهل تمكنوا من الوصول الي قمة صخرة كبيرة مربعة. وأبلغ بلاندل الدليل بأن المجموعة ستتابع الصعود وحدها، فجلس رجال البدو مستندين الي الصخرة وهم يدخنون. وبعد دقائق قليلة كان الآخرون قد وصلوا الي القمة. كان المكان غريبا وعاريا تماما. وكان المنظر آخاذا والوادي منبسطا امامهم علي مدي النظر.

قالت كارول بحماس: (مكان رائع لتقديم القرابين. لكنه كان بلا شك عملا شاقا أن يحضروا ضحاياهم الي هذا المكان المرتفع).

وقال دكتور كارفر: (كان يوجد قديما طريق صخري متعرج. وسوف نري بقاياه عند نزولنا من الجانب الآخر).

ووقفوا برهة يتحدثون. ثم سمعوا رنين صوت معدني وقال دكتور كارفر: (أعتقد أن القرط قد سقط مرة أخري يا مس بلاندل).

ووضعت كارول يدها علي أذنها وصاحت: (هذا صحيح).

وبدأ دي بوسك وهيرست يبحثان عن القرط. وقال الفرنسي:

(لابد أنه موجود هنا. المكان مسطح ولا يمكن أن يكون قد تدحرج بعيدا). وسألت كارو: (هل يمكن أن يسقط في شق ما؟). فقال مستر باركر باين: (لا يوجد أي شق في هذا المكان. الصخر أملس جدا. آه، هل

وجدت شيئا يا كولونيل؟). (مجرد حصاة صغيرة).

وبعد قليل بدأ نوع من التوتر يخيم علي الجماعة. ومع ان احدهم لم يقل شيئا الا انه كان هناك رنين الثمانين الف دولار من حولهم.

وسألها والدها بجفاء: (هل انت متأكدة أنك كنت تتزينين به؟ من الجائز أن يكون قد سقط منك أثناء الصعود).

(اني متأكدة من انه كان في أذني عند وصولنا الي الهضبة. لان دكتور كارفر نبهني الي انه غير محكم وربطه لي بنفسه. اليس كذلك يا دكتور؟).

ووافقها الدكتور كارفر. ثم تكلم سير دونالد معبرا عما يجول بخاطر الآخرين: (انه لأمر محرج للغاية يا مستر بلاندل. لقد ذكرت لنا أمس قيمة هذا القرط. وان فردة منه تساوي ثروة صغيرة. فاذا لم نعثر عليه ويبدو حتي الآن اننا لن نتمكن من العثور عليه فسيكون كل فرد فينا موضع شبهة). وقاطعه كولونيل دي بوسك: (اني اطلب تفتيشي).

وقال هيرست بصوت أجش: (وأنا أيضا يمكنكم أن تفتشوني). وسأل سير دونالد الآخرين: (وما رأيكم؟). قال مستر باين: (بكل تأكيد).

وقال دكتور كارفر: (فكرة صائبة). وقال مستر بلاندل: (وأنا أيضا أيها السادة. عندي أسباب تجعلني لا أرفض أن تفتشوا وان كنت لا أريد الافصاح عنها).

وطلب من ابنته ان تتركهم وتنضم الي الدليل والبدو.

وتركتهم كارول دون أن تنبس بكلمة ووجهها يبدو عليه يأس شديد لاحظه احد أفراد الجماعة وتعجب اذ لم يدرك له سببا.

وبدأ التفتيش. كان دقيقا وشاملا. لكن اتضح ان القرط غير موجود مع اي منهم. ونزلوا من فوق القمة مكتئبين واكملوا الرحلة بدون اهتمام.

كان مستر باين يغير ملابسه قبل الغداء عندما ظهر شخص علي باب خيمته. (هل تسمح لي بالدخول يا مستر باين؟). (تفضلي يا سيدتي العزيزة). ودخلت كارول وجلست علي السرير. وكان علي وجهها نفس التعبير الذي لاحظه في الصباح.

(انت تدعي انك تحل مشاكل الناس عندما يصيبهم سوء اليس كذلك؟).

(أنا في اجازة يا مس بلاندل ولا اقبل قضايا).

فردت عليه بهدوء: (لكنك ستقبل هذه القضية. أصغ لي يا مستر باين. انا أشد تعاسة من كثيرين). (ماذا في الأمر؟ مسألة القرط؟). (بالضبط. جيم هيرست لم يأخذ القرط. اني أعرف انه لم يأخذه).

(يبدو انني لا أفهم تماما. لماذا يتبادر الي ظن أي شخص انه هو بالذات الذي أخذه؟).

(من سوابقه. جيم هيرست كان لصا يوما ما. قبض عليه في منزلنا. أشفقت علي حاله. كان صغيرا ويائسا. اقنعت والدي أن يمنحه فرصة. ووالدي علي استعداد لان يفعل أي شيء أطلبه منه. اعطي جيم فرصة واثبت أنه جدير بها. وبدأ والدي يركن اليه ويأتمنه علي اسرار عمله. وكان كل شيء يسير علي ما يرام الي أن وقع حادث اليوم).

(ماذا تعنين علي مايرام؟). (نحن نريد أن نتزوج).

(وماذا عن سير دونالد؟).

(سير دونالد هذا هو الذي اختاره أبي. هل تظن اني أقبل الزواج من سمكة محنطة مثل سير دونالد؟).

ولم يبد مستر باين رأيه في الشاب الانجليزي انما قال (وسير دونالد؟).

(سير دونالد يظن أنني سأكون ذات نفع لضيعته المرهونة).

وفكر مستر باركر باين قليلا ثم قال: (لا أريد أن أسألك عن شيئين. بالامس أبدي البعض ملاحظة بأن اللص يبقي دائما لصا).

وهزت الفتاة رأسها. (الآن فهمت الحرج الذي تسببت فيه هذه الملاحظة).

(أجل كانت محرجة لجيم، ولابي ولي أيضا. كنت أخشي أن ينم وجه جيم علي استيائه ولذلك حاولت أن أغير مجري الحديث فقلت أي شيء خطر ببالي في ذلك الوقت).

(ولماذا أصر والدك علي تفتيشه اليوم؟). (ألم تفهم السبب؟ أنا فهمته. ظن والدي انني قد أعتقد أن الامر شرك نصب ليقع فيه جيم فهو يريدني أن أتزوج هذا الانجليزي. وأراد أن يثبت لي أنه لم يقم بعمل دنيء ليثنيني عن جيم).

(أن هذا لا يساعدنا كثيرا علي معرفة حقيقة ما حدث اليوم). (هل يئست هكذا بسرعة).

(لا. ما الذي تريدين مني أن أفعله بالضبط؟.

(اثبت أن جيم لم يسرق القرط). (ولنفترض بعد أذنك أنه فعلا سرقه).

(اذا كنت تظن ذلك فأنت مخطيء. مخطيء جدا). (نعم. لكن هل فكرت في الامر بامعان؟ اليس من المحتمل أن تكون اللؤلؤة تجربة شديدة لمستر هيرست؟ اذا باعها فسيظفر منها بمبلغ كبير من المال يبدأ به عملا مستقلا وبذلك يمكنه الزواج منك دون موافقة والدك).

(جيم لم يسرق القرط). (حسنا. سوف أفعل ما في وسعي). وغادرت الخيمة وجلس مستر باين يفكر مدة. ثم فجأة ضحك وقال: (لقد بدأت أفقد ذكائي).

كان مرحا جدا ساعة الغذاء. ومر بعد الظهر بسلام. كان أغلبهم نياما. ولما دخل مستر باين الخيمة الكبيرة في الساعة الرابعة لم يجد غير دكتور كارفار الذي كان منهمكا في فحص بعض قطع من الفخار.

بادره مستر باين: (انت الشخص الذي ابحث عنه بالذات. هل يمكنك أن تعيرني قطعة الصلصال التي معك؟).

وبحث كارفر في جيوبه وأخرج قطعة الصلصال وناولها لمستر باين.

(لا. ليست هذه. أريد القطعة التي كانت معك مساء أمس. وبصراحة لست أريد الصلصال نفسه لكن محتوياته).

وساد السكون فترة ثم قال دكتور كارفر بهدوء: (لا أظن أنني أفهم تماما ما تعنيه).

(بالعكس أظن أنك تفهم. أريد قرط مس بلاندل). ومرت دقيقة من السكون المطبق. ثم وضع كارفر يده في جيبه وأخرج كتلة من الصلصال.

(منتهي البراعة منك). ولم يكن علي وجهه أي تعبير.

(لماذا لا تقول لي كل شيء؟) وكانت أصابع مستر باين تستخرج اللؤلؤة الملطخة بالصلصال.

(أنا أعرف أن هذا قد يبدو ضربا من الفضول. لكني أود أن أعرف السبل).

(سأكاشفك بكل شيء. ولكن بشرط أن تخطرني بالكيفية التي عرفت بها أني أنا الذي أخذت القرط أنك لم ترني طبعا؟). (لم أر شيئا. فقط فكرت في الامر).

(بدأ الامر عرضيا جدا. كنت أسير خلفكم هذا الصباح ووجدته ملقي أمامي. سقط من اذن الفتاة دون أن تدري. لم يلحظ أحد الامر فالتقطته ووضعته في جيبي لاعيده لها حالما الحق بها. لكن نسيت).

وبينما نحن نصعد فكرت في الامر. لم يكن لللؤلؤة أية أهمية عند الفتاة. فان أباها يستطيع أن يشتري لها لؤلؤة أخري دون أن يرهقه الثمن. في حين أن ثمنها يعني الكثير بالنسبة لي. يمكن به أن أجهز بعثة تنقيب كاملة. هل تعرف الصعوبات التي نلاقيها الآن لكي نجمع نفقات رحلات الاستكشاف؟ أو لأعمال الحفريات؟ أريد أن أقوم بها في بالوخستان. هناك جيل كامل من التاريخ ينتظر من يكشفه.

(ثم تذكرت ما قلته أمس عن الايحاء. وضمنت ان الفتاة من النوع الذي يسهل الايحاء اليه. ولما وصلنا القمة قلت لها أن قرطها غير محكم وتظاهرت اني اثبته في اذنها. كل ما فعلته هو اني ضغطت بطرف اصبعي علي أذنها. وبعد فترة أسقطت حصاة صغيرة. وكانت الفتاة متأكدة أن القرط كان في أذنها وقد سقط في تلك اللحظة منها. في

حين أني كنت قد دفنت اللؤلؤة في الصلصال. هذه هي القصة والان هات ما عندك). (ليس عندي الكثير. كنت الوحيد الذي كان يلتقط اشياء من الارض. وهذا هو الذي نبهني اليك. ثم العثور علي الحصاة أوضح اللعبة التي قمت بها. ثم...).

(ثم ماذا...). (أنك تكلمت عن الشرف بشيء من الحماس أمس. ودافعت عن الامر بشدة. أنت تعرف ما قاله شاكسبير. بدوت وكأنك تريد أن تقنع نفسك. ثم انك كنت شديد الاحتقار للمال، اكثر من اللازم).

حسنا. انتهت اللعبة. سوف تعيد الحلية الي الفتاة طبعا. غريب جدا أمر الحلي. عادة همجية تعود الي العصر الحجري. (غريزة ظهرت مع أول انثي ظهرت علي الارض).

(أظن أنك تقسو علي مس كارول. انها فتاة ذكية. وقلبها كبير. لا أظن أنها ستخبر أحدا بما حدث).

(لكن والدها لن يسكت). (أظن أنه سيسكت. لديه من الاسباب ما تجعله يفعل ذلك. القرط لا يساوي هذا المبلغ اطلاقا. ربما خمسة آلاف كانت أقرب الي الحقيقة).

(هل تعني...؟). (الفتاة لا تعرف. تظن أن اللؤلؤ حقيقي. بدأت اشك في الامر أمس. كان بلاندل يكثر الكلام عن ثرائه. وعندما تسوء الاحوال يلجأ المرأ دائما الي المبالغة وبلا ندل كان يبالغ أمس).

وفجأة ابتسم كارفر وبدأ كطفل صغير اكتشف شيئا. البساطة. التعاسة يمكن أن تقسم الي خمسة أقسام (اذن في الحقيقة كلنا في الفقر سواء). (بالضبط أن الفقر صفة تجمع بيننا جميعا).

مشكلة زوجة في منتصف العمر



(لن أتحمل هذا (قالت مسز باكنجتون) لن أتحمل هـذا). وظلت تفكر لحظات، ثم أردفت بصوت خافت).
هذه الخليعة. هذه القطة الخبيثة. بالله كيف يكون جورج بهذا الغباء؟).

وتبدد الغضب ليحل محله الحزن مرة أخري. وبدأت الدموع تترقرق في عيني مسز باكنجتون، ثم تنحدر علي وجنتيها ببطء. (طبعا من السهل ان أقول اني لن أتحمل هذا. لكن ماذا أستطيع أن أفعل حياله؟).

وفجأة أحست انها وحيدة، عاجزة ومهجورة تماما. وببطء التقطت الجريدة الصباحية وبدأت تقرأ، مرة أخري، الاعلان المنشور علي الصفحة الاولي.

(هل انت سعيد؟ اذا لم تكن سعيدا فاستشر مستر باركر باين، ٧١ شارع ريتشموند).

(كلام فارغ. كلام فارغ تماما. (ثم أردفت بعد برهة) ومع ذلك.. فيمكنني أن أجرب...).

ولهذا كانت مسز باكنجتون، في شيء من الانفعال، تدخل مكتب مستر باركر باين في تمام الساعة الحادية عشرة.

ومع أن مسز باكنجتون كانت متوترة الاعصاب فان مجرد رؤيتها مستر باركر باين أعاد اليها الشعور بالثقة. كان منظره ضخما ولكن بدون سمنة. كان أصلع وعلي وجهه ملامح النبلاء. نظارته الطبية سميكة ومن خلفها تبرق عيناه الصغيرتان. قال لها مستر باركر باين: (أرجوك أن تجلسي. هل جئت بناء علي الاعلان المنشور في الصحف؟).

واجابت مسز باكنجتون:

(أجل). ولم تزد شيئا. قال مستر باركر باين: (وانت لست سعيدة). وكان صوته بشوشا وطبيعيا. (السعداء قلة). (أصحيح ذلك؟ قالتها مسز باكنجتون وكأنها لا تقيم أي وزن لغيرها من الناس، سعداء كانوا أو لم يكونوا.

وقال مستر باركر باين: (أعرف أن هذا لا يهمك. لكنه يهمني أنا. لقد أمضيت خمسة وثلاثين عاما من عمري وأنا اجمع الاحصائيات في احدي الادارات الحكومية. والآن، وقد اعتزلت هذا العمل، فكرت أن استغل هذه الخبرة التي اكتسبتها بطريقة جديدة في منتهي البساطة. التعاسة يمكن أن تقسم الي خمسة أقسام لا أكثر. صدقيني. ومتي عرف السبب فان العلاج لا يكون مستحيلا..

إني أضع نفسي مكان الطبيب.. والطبيب يبدأ بتشخيص علة المريض، ثم يشرع في وصف العلاج اللازم. هناك طبعا حالات لا يجدي معها أي علاج. وفي هذه الحالة سأقول بكل صراحة أنه لا يمكنني عمل شيء. ولكني أؤكد لك يا مستر باكنجتون انني عندما أتولي أحدي الحالات فان علاجها يصبح شبه مؤكد).

(أيمكن هذا..؟ هل هذا كلام فارغ أم يمكن أن يكون حقا..؟ وحدقت مسز باكنجتون في وجهه يحدوها الامل...).

وأضاف مستر باركر باين: (هل نبدأ بتشخيص حالتك؟

ثم ابتسم ومال الي الوراء بكرسيه وهو يقول: (المشكلة تتعلق بزوجك. كانت حياتك الزوجية سعيدة بوجه عام. وحسب ما فهمت فقد أثري زوجك. وأظن أن هناك فتاة في المشكلة... ربما كانت فتاة في مكتب زوجك).

واندفعت مسز باكنجتون تقول: (عاملة علي الآلة الكاتبة. خليعة متبهرجة، حقيرة! تصبغ شفتيها، وتعقص شعرها وترتدي جوارب!!!).

وهز مستر باركر باين رأسه يهدئ ثورتها: (ليس هناك أي ضرر في ذلك. أظن أن هذا هو ما يقوله زوجك أيضا).

(بالحرف الواحد تماما).

(اذن فلماذا لا تقوم بينه وبين هذه الفتاة علاقة صداقة بريئة يمكن أن تدخل علي حياتها المملة القليل من البهجة... والسرور؟

مسكينة هذه الطفلة، انها قلما تستمتع. احسب أن هذا هو ما يردده.

واندفعت مسز باكنجتون تقول بحماس: (هراء كله هراء! انه يذهب بها في نزهات نهرية. وأنا احب النزهات النهرية، لكنه منذ خمس أو ست سنوات بدأ يتعلل بأنها تتعارض مع الجولف. لكنه مستعد أن يضحي بالجولف من اجل خاطرها هي! ثم اني احب المسرح وجورج كان يتعلل دائما بأنه متعب، ولا يحب السهر! والآن يخرج معها ليرقص تصور! ليرقص! ويعود الي في الثالثة صبحا!! أنا.. أنا..)

(ومن الطبيعي انه ينتقد غيرة النساء هذه الغيرة الشديدة التي ليس لها داع علي الاطلاق).

فأومأت مسز باكنجتون برأسها: (تماما. كيف عرفت كل هذا؟).

(الاحصائيات). قالها مستر باركر باين ببساطة شديدة.

(انني غاية في التعاسة. كنت دائما زوجة صالحة لجورج. ارهقت نفسي بالعمل في ايامنا الاولي. ساعدته ليشق طريقه. طول حياتي لم أفكر في رجل آخر. دائما كنت أصلح ثيابه. وأعد له وجبات شهية،. أدبر شئون المنزل بطريقة منظمة واقتصادية. والآن وقد تحسن مستوانا وأصبح في امكاننا أن ننعم بحياتنا ونعمل الاشياء التي طالما تطلعت اليها... يحدث هذا).

وابتلعت ريقها بصعوبة. واطرق مستر باركر باين باهتمام وقال: (أستطيع أن أؤكد لك انني متفهم لمشكلتك تماما).

(وهل في امكانك أن تفعل شيئا؟) وكان صوتها يقرب من الهمس.

(طبعا يا سيدتي العزيزة. هناك علاج. طبعا هناك علاج).

(وما هو هذا العلاج؟) واتسعت عيناها في لهفة وهي تسأله: قال مستر باركر بهدوء وثقة: (ستضعين نفسك بين يدي تماما. وستكلفك العملية مائتي جنيه).

(مائتي جنيه!!)

(تماما. في مقدورك أن تدفعي هذا المبلغ. انك تدفعينه عن طبيب خاطر لقاء عملية جراحية. والسعادة لا تقل أهمية عن الصحة البدنية).

(طبعا سأقوم بالدفع بعد أن يتم كل شيء؟). (بالعكس. الدفع مقدما).

فنهضت مسز باكنجتون من مكانها: (أنا لا أدري كيف يمكنني...).

فقاطعها مستر باركر باين: (أن تقامر هكذا؟ ربما كنت علي حق. فالمبلغ لا يستهان به. لكن يجب أن تثقي بي تماما. يجب أن تدفعي المبلغ وتجربي حظك. هذه شروطي).

(مائتا جنيه!) (بالضبط. مائتا جنيه. مبلغ كبير من غير شك أسعدت صباحا يا مسز باكنجتون، وأرجوك أن تتصلي بي اذا غيرت رأيك).

وصافحها مبتسما وكأن شيئا لم يحدث! وبعد أن خرجت ضغط علي زر مكتبه. فدخلت فتاة جادة الهيئة ترتدي نظارة. (أحضري ملفا من فضلك يا مس ليمون. وأخبري كلود انني قد احتاج اليه قريبا).

(عملية جديدة؟) (نعم عملية جديدة. حاليا مازالت مترددة لكنها سوف تعود. ربما بعد الظهر. حوالي الرابعة أدخليها الي).

(جدول؟) (جدول طبعا. غريب أن يظن كل انسان أن حالته فريدة في نوعها.

حسنا حذري كلود. لا أريد تصرفات زائدة عن اللازم ولا داعي للعطر. ويستحسن أن يقص شعره).

كانت الساعة الرابعة والربع عندما دخلت مسز باكنجتون مكتبه مرة أخري. وأخرجت دفتر شيكاتها وحررت الشيك وسلمته اليه وأخذت مقابله ايصالا. ثم نظرت اليه يحدوها الامل: (والآن؟).

وابتسم مستر باركر باين: (والآن تعودين الي المنزل. ستصلك غدا في اول بريد تعليمات معينة، وأكون ممتنا لو نفذتها).

وعادت مسز باكنجتون الي منزلها في حالة من الترقب البهيج. وعاد

مستر باكنجتون يبدو عليه التأهب للدفاع عن نفسه لو اعيدت مناقشة الصباح مرة أخري. ثم بدأ عليه الارتياح عندما وجد زوجته غير راغبة في الجدال. وكان يبدو عليها التفكير العميق علي خلاف المعتاد.

وجلس جورج يستمع الي الراديو وهو يفكر فيما اذا كانت الفتاة العزيزة ناسي ستسمح له بأن يشتري المعطف الفرو؟ كان يعلم انها شديدة الكبرياء ولم يكن يريد أن يجرح شعورها. لكنها كانت تشكو البرد. وكان معطفها من نوع حقير لا يقي من البرودة. ربما كان في امكانه أن يقدمه لها بطريقة تقبلها.

ثم يجب أن يخرجا مرة أخري معا. كان من الممتع أن يصحب فتاة كهذه الي مطعم انيق. ان الشبان يحسدونه لأن جمالها كان غير عادي. وهي معجبة به، ولم يكن في نظرها كبيرا في السن كما قالت له.

ورفع رأسه ونظر الي زوجته وهي ترمقه. وتضايق لان شعورا بالذنب راوده. يا لها من امرأة ضيقة العقل وكثيرة الشكوك... انها تضن عليه حتي بالقليل من السعادة.

وفي الصباح التالي حمل البريد خطابين الي مسز باكنجتون. كان احدهما يحتوي علي ورقة مطبوعة تحدد لها ميعادا في احد صالونات التجميل المشهورة. والثاني يحدد ميعادا آخر عند أحد بيوت الازياء المعروفة. وكان هناك خطاباً ثالثاً من مستر باركر باين يدعوها فيه الي الغداء في الريتز في اليوم نفسه.

وأخبرها مستر باكنجتون انه لن يعود هذا المساء لتناول العشاء في البيت لارتباطه بموعد مع أحد رجال الاعمال. وهزت مسز

باكنجتون رأسها لا شعوريا، وغادر مستر باكنجتون المنزل سعيدا لانه تفادي العاصفة!.

عاتبها أخصائي التجميل علي اهمالها طيلة هذه السنوات لكنه طمأنها علي ان الوقت لم يفت. ودلك وجهها، ووضع عليه الكريم والبودرة وأشياء أخري عديدة. ثم أعطاها مرآة لتري وجهها.

وفكرت مسز باكنجتون في نفسها.... انها فعلا تبدو أصغر سنا.

وكانت زيارة بيت الازياء مثيرة هي الاخري. وخرجت من هناك تشعر بأنها أنيقة و(مودرن).

وفي تمام الواحدة والنصف كانت في الريتز. وبدأ مستر باركر باين انيقا في ملبسه يوحي منظره بالطمأنينة. وتفحصها من رأسها الي قدميها.

(فاتنة! لقد بادرت وطلبت لك كوكتيلا).

ولم تبد مسز باكنجتون أي اعتراض مع انها لم تألف شرب الكوكتيل. وبدأت ترتشف الكوكتيل المثير وهي تنصت الي أستاذها.

(يجب علينا أن نشد اهتمام زوجك. هل تفهمينني؟ نشد انتباهه. لهذا سوف أعرفك بشاب من اصدقائي وسوف تتناولين الغداء معه اليوم).

وفي هذه اللحظة تقدم منهما شاب يخطو برشاقة. وقال مستر باركر باين: (مستر كلود لوتريل.... مسز باكنجتون).

وكان يبدو علي كلود لوتريل انه دون الثلاثين بقليل. كان رشيقا، جذابا، انيقا وجميلا للغاية.

وغمغم لوتريل قائلا: (اني سعيد جدا بمعرفتك).

وبعد ثلاث دقائق كانت مسز باكنجتون تجلس مع رفيقها علي مائدة صغيرة معدة لاثنين!

انتابها الخجل في بداية الامر، لكن سرعان ما اعاد اليها مستر لوتريل ثقتها بنفسها. كان يعرف باريس، جيدا وأمضي وقتا طويلا في الريفييرا.

سألها: (هل تحبين الرقص؟ فأجابت): أجل.. ولكني لا أرقص في هذه الايام لان زوجي لا يحب السهر. (ولكن كيف يقسو فيترك امرأة مثلك في المنزل. لا يمكن أن تصبر النساء علي غيرة الازواج في وقتنا هذا).

وأوشكت مسز باكنجتون أن تقول له ان لا شأن لذلك بالغيرة. لكنها أثرت أن تحتفظ لنفسها بهذه الفكرة الكريهة.

وتحدث كلود لوتريل كثيرا عن النوادي الليلية. واتفقا علي أن يذهبا في مساء اليوم التالي الي الملهي المشهور (الملاك الصغير). وكانت سهرة رائعة. فقد كانت تجيد الرقص وهي فتاة وكان من السهل عليها أن تتعلم الرقصات الحديثة بارشاد كلود لوتريل الخبير. وقد أطري طريقة تصفيف شعرها وأبدي اعجابه بثوبها. وعندما غادرها في نهاية السهرة قبل يدها. ولم تكن قد تمتعت بسهرة كهذه منذ سنين طويلة!

وتوالت ايام عشرة مشحونة بالاحداث: غداء. شاي. رقص. واستمعت الي قصة طفولة كلود لوتريل الحزينة، وكيف ان والده فقد كل ثروته في ظروف مؤسفة. ثم قصة حبه الفاشل وشعوره بالمرارة حيال النساء عامة.

وفي اليوم الحادي عشر كانا يرقصان في ملهي (الادميرال الاحمر).

ولمحت مسز باكنجتون زوجها قبل ان يراها هو. وكان مع الفتاة التي تعمل في مكتبه. وكانا هما ايضا يرقصان.

وقالت مسز باكنجتون باستخفاف: (هالو جورج).

وسرها جدا أن تري زوجها وهو يتحول الي الاحمرار أولا، ثم الي اللون القرمزي من فرط دهشته الممزوجة بتعبير عن شعوره بالذنب! وشعرت أيضا بأنها سيدة الموقف... مسكين جورج! ومضت ترقبهما بعد ان عادت الي مائدتها. لقد ازداد بدانة، وهو يرقص في غير رشاقة. مسكين جورج! ما أشد لهفته علي استعادة شبابه؟!

وهذه الفتاة المسكينة المجبرة علي الرقص معه والتظاهر بانه يعجبها. كان يبدو الملل علي وجهها المستند فوق كتفه بحيث لا يستطيع أن يراه..

كان وضعها هي مختلفا تماما. وكان هذا مبعث رضائها التام. واختلست النظر الي كلود الذي أحسن تقدير الموقف فخلد الي السكون. كان يفهمها حق الفهم. ونظرت اليه مرة أخري والتقت عيناهما وابتسم كلود وهو ينظر اليها تشع من عينيه السوداوين الجميلتين الكآبة والرقة والشاعرية.

وغمغم: (هل نرقص مرة أخري؟). ورقصا. وشعرت انها محلقة في السماء!.

وكانت تحس بنظرات جورج القلقة تتبعهما. وتذكرت أن اساس الفكرة أن تثير غيرة جورج. لكن هذا كان في البداية. أما الآن فهي لم تعد تبالي باثارة غيرته. قد يسبب له ذلك انزعاجا. ولكن ما الذي يدعوه

لان ينزعج؟ ان الجميع لفي غاية من السعادة!

وعادت الي المنزل بعد ساعة كاملة من عودة زوجها. كان يبدو عليه الارتباك وعدم الثقة. وهمهم: (ها قد عدت أخيرا). ونزعت مسز باكنجتون ملحفها الذي ابتاعته في الصباح وكلفها أربعين جنيها. (أجل... عدت).

وتنحنح جورج: (كان من الغريب أن نتقابل). (أحقا...؟).

(آه.. انني فكرت من باب الشفقة أن اصطحب الفتاة الي مكان ما. كانت تعاني من مضايقات منزلية كثيرة... من باب الشفقة... كما تعلمين).

واومأت مسز باكنجتون برأسها. مسكين جورج العجوز! يتواثب راقصا رغم بدانته وينضح عرقا ويفرح بنفسه.

(من هذا الشاب الذي كان معك الليلة؟ لا أظن أني أعرفه). (أسمه لوتريل. كلود لوتريل).

(وكيف تعرفت به؟) كانت اجابتها غامضة.

(عرفني به بعضهم.

(غريب أن ترقص من كانت في سنك هذا. لا تجعلي من نفسك اضحوكة يا عزيزتي).

وابتسمت مسز باكنجتون. كانت تشعر برضاء بالغ نحو الدنيا باسرها، ولذلك اجابت في بشاشة: (قليل من التغيير قد يكون حسنا).

(لكن يجب أن تكوني حريصة. هناك كثير من هؤلاء الشبان الثعالب الذين يحومون في صالات الفنادق... والنساء في منتصف أعمارهن يرتكبن أحيانا بعض الحماقات. يجب أن أحذرك يا عزيزتي فأنا لا أحب

أن أراك تفعلين ما لا يليق).

(اني أجد الرقص رياضة مفيدة). (ربما.. أجل). (وكذلك تجده أنت أيضا. (وأردفت بصوت حنون). والشيء هو أن نكون سعداء أليس كذلك؟ أذكر انك قلت ذلك ذات صباح علي مائدة الافطار... منذ حوالي عشرة أيام).

ونظر اليها زوجها بحدة، ولكن لم يكن في وجهها ما ينم علي السخرية.

ثم تثاءبت وقالت: (يجب أن أذهب الي فراشي. وبهذه المناسبة يا جورج... انتابتني حالة اسراف أخيرا وسترد اليك الفواتير تباعا. هل يضيرك هذا كثيرا؟).

(فواتير؟) (أجل. ملابس. تجميل. تدليك. تصفيف الشعر. كنت مسرفة الي أقصي حد، ولكني أعرف أن هذا لا يضايقك). وصعدت الي حجرتها بينما ظل مستر باكنجتون جالسا وقد فغر فاه. كانت ماريا لطيفة بطريقة مدهشة فيما يختص بموضوع تلك الليلة ولم يبد عليها انها اهتمت! لكن من المؤسف انها فجأة بدأت موجة من الاسراف... ماريا... مثال التدبير!!.. وهز جورج باكنجتون رأسه: ثم المشاجرات التي تسبب فيها أخوة الفتاة. كان من دواعي سروره انه استطاع المساعدة. ثم ان الاحوال في المدينة عموما لم تكن علي ما يرام.

وتنهد مستر باكنجتون وصعد هو الآخر الي غرفته. احيانا تحدث الكلمات تأثيرها بعد وقت طويل. ولذلك لم تحدث كلمات مستر باكنجتون تأثيرها حتي صباح اليوم التالي.... شبان ثعالب! نساء في منتصف العمر!

تصرفات حمقاء!. وكانت مسز باكنجتون شجاعة فواجهت الموقف بصراحة.. انه قطعا (جيجولو يعيش عالة علي النساء! كانت قد قرأت كثيرا عن أمثاله في الصحف، وكذلك عن حماقات في هذه السن!.

لكن هل يعيش كلود عالة علي النساء؟ ربما. لكن من دأب الجيجو لو أن يجعل المرأة تنفق عليه، وكلود هو الذي ينفق عليها لكن مستر باركر باين هو الذي يدفع وليس كلود! والحقيقة أيضا هي التي تدفع من المائتي جنيه. وهل هي حقا كهنة حمقاء؟ هل يسخر كلود لوتريل منها عندما تدير ظهرها؟

واحمر وجهها... لهذا الخاطر. ومع ذلك.... لم لا؟ كلود جيجولو. وهي حمقاء في منتصف العمر! اذن ينبغي أن تقدم شيئا.. علبة سجائر ذهبية مثلا... أو شيئا من هذا القبيل.

واستولي عليها دافع غريب جعلها تذهب من فورها الي محل آسبري فانتقت علبة سجائر ذهبية دفعت ثمنها. ثم ذهبت الي كلاريدج لتقابل كلود علي الغداء.

وأثناء تناول القهوة أخرجت العلبة من حقيبتها. (هدية صغيرة:(قالتها بصوت خفيض). ونظر اليها عابسا: (لي؟).

(أجل. أرجو أن تعجبك؟). وأمسك كلود بالعلبة ودفعها بعنف عبر المائدة تجاهها. (لماذا تعطينني شيئا كهذا؟ لن أقبلها. أبدا. خذيها.. قلت خذيها..!

وغمغمت قائلة: (آسفة) وأسرعت تدس العلبة في حقيبتها.

وساد بينهما توتر شديد طوال ذلك اليوم وفي اليوم التالي خاطبها

بالتليفون: (يجب أن أقابلك. هل استطيع زيارتك بمنزلك عصر اليوم؟).

فطلبت اليه ان يحضر في الثالثة. وعندما حضر كان وجهه ممتقعا وأعصابه متوترة. وتبادلا التحية، وبدا التوتر بينهما أشد وضوحا.

ثم فجأة هب واقفا أمامها: (من تظنيني؟ أريد أن أعرف تماما ولهذا جئت! لقد كنا أصدقاء، أليس كذلك؟ أجل أصدقاء لكن بالرغم من هذا أجدك تحسبينني جيجولو!! شخص يعيش عالة علي النساء. هذا هو ما تظنين، اليس هذا هو ما تظنين؟)

(أبدا. أبدا). لكنه تجاهل اعتراضها، وبدا وجهه أشد امتقاعا من قبل!

(هذا هو ما تعتقدين... ليكن. هذه هي الحقيقة. وهذا ما جئت أقوله لك. لقد أمرت بأن استصحبك في كل مكان... أن أسليك... أن أبادلك الحب.. أن أساعدك علي نسيان زوجك. هذا عملي. عمل حقير... اليس كذلك؟

وسألته: (لماذا تقول لي كل ذلك؟). (لاني سئمت هذا العمل... لاني لا أستطيع أن استمر في مثل هذا العمل.. ليس معك انت.. انك تختلفين عن الاخريات.. انك من طراز آخر أستطيع أن أومن به... اثق فيه. أعجب به... ربما ظننت أن أقوالي هذه جزء من عملي).

واقترب منها وهو يضيف: (لكني سأبرهن لك علي صحة كلامي. سوف أرحل.. وبسببك انت! من أجلك.. سوف أجعل من نفسي رجلا بدلا من هذا المخلوق الكريه.

واحتضنها فجأة..! وأطبق شفتيه علي شفتيها! ثم أرخي ذراعيه

ووقف بعيدا عنها:

(الوداع... كنت طيلة عمري فاسدا.. لكن اقسم لك ان الأمر مختلف الآن. هل تذكرين انك قلت لي مرة انك تحبين قراءة الإعلانات في عمود هو (الآلام؟. في مثل هذا اليوم من كل عام ستجدين رسالة مني أقول فيها انني أذكرك وانني بخير. وستعلمين عندئذ قيمتك عندي.. وشيء آخر. أني لم آخذ منك أي شيء. لكن هل استطيع أن أعطيك شيئا؟).

وخلع من اصبعه خاتما ذهبيا بسيطا.

(هذا الخاتم كان لامي. أرجوك أن تحتفظي به.. والآن. وداعا).

وتركها واقفا مذهولة وفي يدها الخاتم الذهبي!

١

وعاد جورج جورج باكنجتون مبكرا هذا المساء، ووجد زوجته جالسة تنظر ساهمة في النار المشتعلة في المدفأة. وكان كلامها اليه رقيقا لكنها كانت شاردة.

وفجأة اندفع يقول: (اسمعي يا ماريا... بخصوص تلك الفتاة). (ماذا بخصوصها؟). (لم أقصد قط ان أضايقك، وانت تعلمين هذا.. ليس بيني وبينها شيء).

(أعرف ذلك. لقد كنت غبية... لك أن تلقاها كما تشاء اذا كان في ذلك ما يسعدك).

كان من المفروض أن يبتهج مستر باكنجتون لهذه الكلمات. لكن الغريب انها ضايقته جدا! كيف يمكن للمرء أن يتمتع بصحبة فتاة اذا كانت زوجته هي التي تحثه علي ذلك؟ هذا أمر خارج علي المألوف... اذ كان قد شعر بأنه رجل ذئب، رجل قوي يلعب بالنار... فقد ماتت هذه

المشاعر في نفسه ميتة. وفجأة احس جورج باكنجتون انه انسان متعب وخاوي الوفاض... الفتاة انها حقا لفتاة خليعة..!.

وفي شيء من الخجل قال لزوجته مقترحا: (يمكننا أن نستطيع نسافر معا الي مكان ما يا ماريا اذا كان هذا يروق لك.) (دعك مني. أنا سعيدة هكذا). (لكني أحب أن أصطحبك معي. يمكننا أن نذهب الي الريفيرا).

وابتسمت مسز باكنجتون لزوجها.. مسكين جورج. كانت مولعة به.. انه عزيز عجوز وعطوف. ولم يكن في حياته سر خفي يسعده كما كان في حياتها.. وازدادت ابتسامتها رقة وقالت: (جميل جدا أن نسافر معا يا عزيزي).

سأل مستر باركر باين سكرتيرته مس ليمون: (وحساب الترفيه؟). (مائة جنيه وأربعة عشر شلنا).

وفتح الباب ودخل كلود لوتريل وعليه سمات الشرود. (أسعدت صباحا يا كلود. هل سار كل شيء علي ما يرام؟).

(إعتقد ذلك). (والخاتم؟ اي اسم حفرت عليه؟). فأجاب كلود بنوع من الكآبة: (ماتيلدا. سنة ١٨٩٩).

(عظيم. ونص الاعلان؟). (اني بخير. مازلت اذكر.. كلود). (أرجوك أن تأخذي مذكرة بذلك يا مس ليمون. عمود الآلام). الثالث من نوفمبر لمدة.. دعيني افكر.. المصاريف مائة جنيه وأربعة عشر شلنا. حسنا.. لمدة عشر سنوات. هذا يترك لنا ربحا صافيا تسعين جنيها وشلنين. لا بأس. لا بأس اطلاقا. وخرجت مس ليمون. واندفع كلود يقول: (اسمع.

أنا لا احب هذه اللعبة. انها لعبة قذرة). (يا بني العزيز..).

(لعبة قذرة. انها سيدة فاضلة.. طيبة جدا. كل هذه الاكاذيب.. كل هذه الشحنات من العواطف. كل هذا يصيبني بالغثيان). ونظر مستر باركر باين الي كلود باهتمام. (يا الهي... اني لا أذكر اطلاقا أن ضميرك انبك في يوم من الأيام خلال ممارستك مهنتك الوضعية. ان مغامراتك في الريفيرا كانت شائنة... كان استغلالك لمستر هاتي ويست زوجة ملك الخيار في كاليفورنيا كشفت تماما عن مواهبك وقدرتك علي الابتزاز).

وزمجر كلود: (علي أية حال أشعر الآن انني شخص آخر. انها لعبة غير شريفة). ورد عليه مستر باركر باين بلهجة ناظر المدرسة الذي يؤنب أحد التلاميذ المقربين اليه: (لقد قمت بعمل جليل يا عزيزي كلود... ادخلت علي حياة سيدة تعيسة ما تحتاجه كل امرأة... قصة حب! المرأة يمكنها أن تستنزف أي عاطفة تجيش بها دون أن تخرج منها بشيء. لكن قصة الحب يمكن للمرأة أن تغلقها وتحتفظ بها طيلة حياتها... وتحتفظ بها كل السنوات القادمة. اني اعرف طبيعة البشر يا بني. فاعلم ان المرأة تستطيع أن تعيش علي عاطفة من هذا القبيل لسنوات عديدة.. اعتقد اننا أسدينا خدمة نافعة لمسز باكنجتون نستحق عليها ما تقاضينا).

وغادر الغرفة. وأخذ مستر باركر باين ملفا جديدا من درج مكتبه وكتب عليه: (ظاهرة غريبة ليقظة ضمير جيجولو متمرس. ملحوظة: تدرس التطورات).

نذير في دلفي



لم تعجب اليونان مسز ويلارد بيترز عموما ولم تثر فيها دلفي أي اهتمام. كان كل حلمها هو باريس ولندن والريفيرا.

كانت تهوي الفنادق الفاخرة ذات الرياش الثمينة والاضاءة العصرية والاجهزة الكهربائية المتعددة والماء الساخن والبارد والتليفون بجانب الفراش لكي تطلب الشاي والوجبات والمشروبات ولتخاطب أصدقاءها في كل مكان.

لم يكن يوجد شيء من هذا القبيل في فندق دلفي. كان المنظر رائعا من النافذة. كان الفراش نظيفا مثل باقي الحجرة. كان في الغرفة أيضا كرسي واحد ومكان للاغتسال ودولاب ملابس. امام الحمام فيعد بناء علي طلب النزيل. أما الماء فلم يكن ساخنا باستمرار.

الا انه كان مما تغتبط له أن تقول انها زارت دلفي. وقد حاولت جاهدة أن تهتم بتراث الاغريق القدامي لكنها لم تجد الامر سهلا هينا. فالتماثيل كانت ناقصة الرؤوس أو الاذرع وهي التي كان لا يعجبها في التماثيل الا ذلك الملاك الرخامي فوق قبر مستر ويلارد بيترز.

لكنها لم تفصح أبدا عن أفكارها خوفا من أن يحتقرها ابنها ويلارد. كانت في اليونان من اجله، تتحمل الغرفة غير المريحة والخادمة المتجهمه والسائق الكريه.

كان ويلارد ابن مسز بيترز يبلغ الثامنة عشرة من عمره. وكانت تحبه حبا جما. وهو الذي كان مولعا بالفن القديم. لذلك فان هذا الشاب النحيل الباهت اللون الضعيف النظر هو الذي أجبر امه علي أن تصحبه في هذه الجولة في اليونان. زارا الاوليمبا وكان من رأي مسز بيترز انه عبارة عن فوضي مؤسفة. أعجبها البارثنون قليلا لكن أثينا في رأيها كانت بلدا لا تساوي شيئا. أما زيارة كورنفوس وميسينا فكانت عذابا أبديا.

وكانت دلفي القشه الاخيرة. لا شيء الا المشي والتفرج علي حطام واطلال. أما ويلارد فكان يمضي الساعات علي ركبتيه محاولا قراءة النقوش اليونانية ويصيح فرحا من آن لآخر وهو يشرح لامه معني الرموز. اما هي فكانت تجد في كل هذا منتهي البلاهة.

وفي هذا الصباح اعتذرت عن مرافقته لرؤية بعض النقوش البيزنطية.

فقال لها ابنها: (حسنا يا أمي. اني أعرف انك تريدين البقاء بمفردك حتي يتاح لك ان تتأملي المسرح القديم وترتوي من النظر اليه).

(تماما يا صغيري).

(كنت متأكدا أن هذا المكان سيستحوز عليك). وتركها ويلارد مسرورا.

تنفست مسز بيترز الصعداء وتأهبت لتناول افطارها. وجدت قاعة

الطعام خالية الا من أربعة أشخاص. أم وابنتها ترتديان ملابس غريبة ويتكلمان عن الرقص التعبيري. رجل بدين رأته من قبل عندما حمل حقيبتها وهي تغادر القطار في دلفي. ورجل آخر في منتصف العمر، أصلع الرأس كان قد وصل في الليلة السابقة.

كان القادم الجديد آخر من بقي في صالة الطعام فمضي يتجاذب مع مسز بيترز الحديث. كانت سيدة ودودا بطبعها وتحب أن تتحدث مع الناس. كان مستر تومسون البدين متحفظا جدا ولا يشجع أحدا علي التحدث اليه.. أما الام وابنتها فكانتا متعجرفتين. وان كانت الفتاة قد بدأت تصادق ويلارد. ووجدت مسز بيترز أن الرجل الجديد شخصيته جذابة. كان واسع الادراك لكن بدون كبرياء. قص عليها الكثير عن الاغريق القدامي مما حببهم اليها. وقصت هي عليه كل شيء عن ويلارد وذكائه واهتمامه الجديد الذي يجعل الحديث معه ممتعا وسهلا في نفس الوقت. لكنها لم تعرف اسمه ولا مهنته. كل ما عرفته عنه انه في رحلة يرفه بها عن نفسه. ولم يتحدث عن نفسه بأكثر من هذا.

ومضي اليوم أسرع مما توقعت. استمرت الام وابنتها وكذلك مستر تومسون في الابتعاد عنها. حتي ان مسز بيترز وصديقها الجديد قابلا تومسون خارجا من المتحف فما كان من الاخير الا انه ولي وجهه الناحية الاخري واسرع مبتعدا عنهما.ونظر اليه الصديق الجديد باندهاش ثم سألها: (من هذا الرجل يا تري؟).

وقالت له مسز بيترز اسمه وكان هذا هو كل ما تعرف عنه. (تومسون؟ لا أظن اني قابلته من قبل مع ان وجهه كان مألوفا بطريقة أو أخري.

وبعد الظهر اختارت مسز بيترز لنفسها مكانا ظليلا تغفو فيه وتقرأ كتابا غير ذلك الذي اعطاه لها ابنها عن الفن الاغريقي. كان عنوان الكتاب (سر المركب النهري) ويتضمن اربع جرائم قتل وثلاث حوادث اختطاف وعصابة ضخمة من المجرمين الخطرين. واستمعت مسز بيترز الي اقصي حد وهي تقرؤه. كانت الساعة الرابعة عندما عادت الي الفندق متوقعة أن يكون ويلارد قد عاد من رحلته. كان ذهنها خاليا تماما من أي شيء مكدر لدرجة انها لم تهتم بالاسراع في قراءة الرسالة التي سلمها لها صاحب الفندق قائلا ان شخصا غريبا تركها لها.

كانت الرسالة مكتوبة علي ورقة قذرة. وبعد أن قرأت أول سطرين منها أبيض وجهها وارتعشت وكادت أن تسقط أرضا. كانت الرسالة بالانجليزية لكنه كان واضحا أن كاتبها أجنبي. قالت الرسالة: (سيدتي نخطرك بأن ابنك رهينه لدينا وفي مكان أمين. لن يحدث أي ضرر للشاب المحترم اذا اتبعت التعليمات. اننا نطلب فدية له تعادل عشرة آلاف جنيه استرليني. اذا تفوهت الي صاحب الفندق أو البوليس أو أي مخلوق آخر فسيقتل ابنك فورا. سنمنحك وقتا للتفكير. غدا ستصلك تعليمات عن كيفية دفع المبلغ. اذا لم تتبعيها فسنقطع أذني الشاب المحترم ونرسلهما لك. وفي اليوم التالي اذا لم يدفع المبلغ سنقتله. هذا ليس تهديدا أجوف.

نرجو أن تفكر سيدتي جيدا وتلزم الصمت. ديمتريوس ذو الحاجب الاسود).

كانت مسز بيترز في حالة يرثي لها. علي الرغم من الطريقة البدائية المكتوبة بها الرسالة، كان مضمونها كافيا لكي يملأها بالخوف

والاحساس بالخطر.

ويلارد ابنها حبيبها، ويلارد المثقف الجاد. يحدث له هذا!! ستذهب فورا للبوليس. سوف تخبر البلد كلها. لكنها ارتجفت عندما فكرت فيما يمكن أن يحدث نتيجة لهذا.

وخرجت من حجرتها تبحث عن صاحب الفندق الوحيد في الفندق الذي يتكلم الانجليزية.

(الوقت متأخر وابني لم يعد بعد).

وضحك الرجل المرح: (لقد رفض السيد ان يستخدم البغل وفضل أن يسير علي قدميه. ربما تلكع قليلا في الطريق).

وسالته مسز بيترز بانفعال: (هل يوجد اناس اشرار في هذه الناحية).

وكان كل ما حصلت عليه هو سلسلة من التأكيدات أن كل سكان دلفي أناس شرفاء بسطاء طيبون ويحبون الاجانب.

كادت أن تقول له لكنها أمسكت لسانها بعد جهد. الجمها الخوف. ربما كان الامر كله مجرد خدعة. لكن التهديد كان جادا. كانت لها صديقة امريكية اختطف طفلها وقتل بمجرد ابلاغ البوليس. هذه الاشياء كانت تحدث دائما. كانت قد اوشكت علي الانهيار. لم تدر ماذا تفعل. سلامة ويلارد تساوي أضعاف العشرة آلاف جنيه. لكن من أين لها أن تحصل علي المبلغ. وكل ما عندها هو خطاب ضمان ببضعة مئات من الجنيهات. سوف تكون هناك صعوبات لا نهاية لها لتحصل علي مثل هذا المبلغ نقدا.

هل يمكن أن يقدر اللصوص هذه الظروف؟ هل ممكن أن يتعقلوا؟ هل ممكن أن ينتظروا؟

عندما جاءت اليها الخادمة طردتها بقسوة. ولما دق جرس العشاء ذهبت الي صالة الطعام وأكلت دون وعي ولم تلحظ أحدا آخر في القاعة وكأنه لم يكن هناك أحد غيرها في الفندق.

وعند تقديم الفاكهة كان هناك رسالة أخري لها. وانزعجت أول الامر الي أن وجدت الرسالة مكتوبة بخط مختلف. خط انجليزي انيق. فتحت الرسالة بدون اهتمام لكن محتوياتها اثارتها:

(لم يعد في الامكان استشارة الانبياء في دلفي. لكن يمكنك استشارة مستر باركر باين).

ومع الرسالة كانت توجد قصاصة من صحيفة ملصقة في ورقة. وفي اسفل الورقة كانت هناك صورة ملصقة أيضا بها. كانت صورة صديقها الاصلع.

وقرأت مسز بيترز القصاصة مرتين.

(هل انت سعيدة؟ اذا لم تكوني استشيري مستر باركر باين).كانت هذه القصاصة بمثابة نجدة. وكتبت بسرعة علي الورقة.

(ارجوك ساعدني. قابلني خارج الفندق بعد عشر دقائق أن امكن).

وطلبت من الخادم أن يوصل الرسالة الي السيد الجالس بجوار النافذة.

وبعد عشر دقائق، خرجت من الفندق الي الليل البارد الي حيث وقف ينتظرها مستر باركر باين.

قالت له وهي تلهث: (وجودك هنا نعمة من السماء. لكن كيف خمنت انني في ضيق؟ هذا ما أريد أن أعرفه).

(حاسة الانسان. عرفت فورا ان هناك ما يضايقك.والآن أريد أن أعرف ما هو؟).

واندفعت تروي له كل شيء. واعطته الرسالة ليقرأها علي ضوء بطاريته.

(رسالة غريبة. هناك بضع نقاط...).

لكن مسز بيترز قاطعته وسألته عما يستطيع أن يفعله بخصوص ويلارد.

وأخذ مستر باين يطمئنها. قال لها أن اللصوص سيحافظون علي رهينتهم بعناية لانه يمثل في نظرهم مبلغا ضخما من المال. وبالتدريج استطاع أن يهدئ من أعصابها.

(لكن ماذا علي أن أفعل؟).

(انتظري الي الغد. الا اذا كنت تريدين الذهاب مباشرة الي البوليس).

وصرخت مسز بيترز أن ويلارد سيقتل لا محاله ان أخطرت البوليس.

(هل تظن أن حبيبي ويلارد سيعود الي سالما؟) (بدون شك. المشكلة هي أن يعود دون أن تدفعي العشرة آلاف جنيه).

(كل ما أريده هو ابني).

(طبعا. طبعا من سلم الرسالة اليك؟).

(قالت صاحب الفندق انه شخص غريب لم يره من قبل).

(هناك عدة احتمالات في هذه الحالة. يمكننا أن نتتبع الشخص الذي سيحضر الرسالة غدا. وبهذه المناسبة، كيف ستعللين غياب ابنك عن الفندق؟).

(لم أفكر في هذا).

(ربما أمكنك أن تبدي انزعاجا لعدم عودته. فسيرسلون فرقة للبحث عنه).

(لكن هؤلاء الاوغاد..؟)

(لا داعي للقلق. طالما أنك لم تتكلمي عن الخطف والفدية المطلوبة فلن يقع أي ضرر.. ومهما يكن فانهم لا يتوقعون أن تتقبلي مسألة اختفاء ابنك هكذا ببساطة).

(هل استطيع أن أترك كل شيء لك لتتصرف؟).(هذه هي مهنتي).

واستدارا ليعودا الي الفندق وكادا أن يصطدما بشخص في الظلام.

(من كان هذا؟).

(أظن انه كان تومسون).

وغمغم مستر باين: (تومسون؟).

وفي غرفتها فكرت في ان ما قاله مستر باين بشأن الرسالة كان غاية في الصواب ان الذي سيحضر رسالة الغد قطعا علي اتصال بالعصابة. واستراحت قليلا لهذه الفكرة ونامت باسرع مما كانت تظنه ممكنا.

وبينما كانت ترتدي ملابسها في صباح اليوم التالي وجدت مظروفا ملقي بجانب النافذة. وانتفض قلبها. كانت رسالة علي نفس الورق القذر وبنفس الخط الردئ.

(صباح الخير يا سيدتي. هل فكرت جيدا؟ ابنك بخير ولم يصبه أذي الي الآن. لكن لابد أن نحصل علي المبلغ. وربما كان من العسير عليك

الحصول علي مثل هذا المبلغ لكن قيل لنا ان عندك عقدا من اللؤلؤ الخالص. سنكتفي بهذا بدلا من النقود. هذا ما يجب عليك ان تفعليه. انت أو أي شخص تختارينه عليه ان يحضر العقد الي الاستاد ومن هناك تصعدين الي حيث توجد شجرة بجانب صخرة كبيرة. سوف ترقبكم الاعين للتأكد من أن شخصا واحدا سيقوم بالمهمة. وهناك سيتم تبادل ابنك بالعقد. الموعد غدا في تمام السادسة صباحا بعد الشروق مباشرة. اذا نبهت البوليس سنضرب ابنك بالرصاص وهو معك في العربة في طريقكم الي المحطة.

هذه آخر رسالة منا. اذا لم نحصل علي العقد غدا سنرسل لك اذني ابنك. وفي اليوم التالي يموت.

مع تحياتي الي سيدتي ديمتريوس

واسرعت مسز بيترز الي مستر باين الذي قرأ الرسالة باهتمام.

(هل هذا صحيح؟ بخصوص العقد؟)

(صحيح تماما. دفع فيه زوجي مائة ألف دولار).

(لصوص علي علم تام بكل شيء). قالها مستر باين في همس: (ماذا تقول؟)

(كنت ادرس بعض نواحي الموضوع).

(ليس عندنا وقت لدراسة النواحي. أريد ابني حيا!).

(لكنك امـرأة شجاعة يا مستر بيترز. هل ستتركين هؤلاء اللصوص يخدعونك ويتحكمون فيك؟ هل تحبين أن تسلمي لآلئك

بخنوع لهؤلاء الاوغاد).

(طبعا لا. كل ما أريده هو أن أسوي حسابي معهم هؤلاء الجبناء بمجرد أن يعود ابني سأرسل خلفهم البوليس وأهل البلد. وأن اقتضي الامر استأجر عربة مصفحة لنركب فيها الي المحطة).

(لكن أخشي انهم مستعدون لاحتمال كهذا. انهم يعلمون جيدا انه بمجرد عودة ويلارد فلن يردك شيء عن ابلاغ الدنيا كلها بما حدث).

(اذن ماذا سنفعل؟).

وابتسم مستر باركر باين: (أريد أن أجرب خطة صغيرة معهم).

ثم نظر حوله بحذر ووجد أن صالة الطعام خالية الا منهما. فأضاف:

(لي صديق في اثينا. خبير مجوهرات ماهر متخصص في الاحجار المقلدة. سأتصل به تليفونيا. يمكنه أن يحضر بعد الظهر ومعه مجموعة من الجواهر المزيفة).

(ماذا تقصد؟).

(سوف نستبدل اللآليء الحقيقية بأخري مزيفة).

(أروع فكرة سمعتها في حياتي).

ونظرت اليه مسز بيترز باعجاب غير خاف.

(خفضي صوتك. والان، هل يمكنك القيام بمهمة صغيرة؟).

(بالتأكيد).

(إحرصي علي الا يقترب أحد مدي السمع من التليفون).

وكان التليفون في حجرة المدير الذي اخلاها لهم فورا بعد أن ساعد

مستر باين في طلب الرقم. ولما غادر الحجرة وجد مسز بيترز التي قالت له انها تنتظر مستر باين للذهاب الي نزهة.

كان مستر تومسون أيضا في الردهة. واقترب منهما واخذ يسأل المدير عما اذا كان من الممكن استئجار فيللات في دلفي.

(هناك فيلا يملكها احد اليونانيين لكنه لا يؤجرها).

(ألا توجد فيللات أخري؟).

(هناك واحدة تملكها سيدة أمريكية في الطرف الاخر من القرية. مغلقة حاليا. وهناك أيضا فيللا يملكها فنان انجليزي علي الصخرة التي تطل علي أيتيا).

وتدخلت مسز بيترز في الحديث. كانت الطبيعة منحتها حنجرة قوية مما جعل صوتها عاليا.

(من الرائع أن يمتلك الشخص فيللا هنا. انه لمكان ساحر. كذلك يا مستر تومسون؟ قطعا انك تظن ذلك طالما أنك تبحث عن فيللا. هل هذه أول زيارة لك هنا؟).

واندفعت في الكلام بصوت عال حتي خرج مستر باركر باين من الغرفة وابتسم لها. ونزل مستر تومسون ببطء وخرج الي الطريق حيث انضم الي المرأة المتعجرفة وابنتها.

وسار كل شيء علي ما يرام. وصل خبير المجوهرات قبل العشاء في سيارة ممتلئة بالسياح. وذهبت مسز بيترز الي غرفته ومعها العقد.

(تستطيع سيدتي أن تثق في النجاح).

واخرج حقيبة صغيرة وانهمك في عمله.

وفي الساعة الحادية عشرة ذهب مستر باين الي غرفتها وناولها كيس بني صغير.

(جواهري!).

(خفضي صوتك. ها هو العقد المزيف. متقن تماما اليس كذلك؟).

(مدهش).

(أن أريستو بولوس صائغ ماهر).

(ألا تظن أنهم سيشكون في الامر؟).

(كيف يمكنهم ذلك؟ هم يعلمون أن معك العقد. وسوف تسلمينه لهم. كيف يمكنهم ادراك أن في الامر خدعة؟)

وناولته مسز بيترز العقد ثانية: (هل يمكنك أن تحمل أنت العقد اليهم، أم لعلي أطلب منك الكثير؟)

(بكل تأكيد. فقط اعطيني الرسالة حتي احفظ التعليمات جيدا. والآن نامي جيدا وتشجعي. سوف يكون ابنك معك علي الافطار غدا).

(يا ليتني أستطيع أن أصدق ذلك).

(لا تقلقي. اتركي كل شيء لي).

لم تنم مسز بيترز جيدا. راودتها أحلام بشعة فيها لصوص يركبون المصفحات ويطلقون مدافعهم الرشاشة علي ابنها ويلارد الذي كان يجري علي سفح جبل في بيجامته. وقامت مفزعة وبقيت مستيقظة حتي الصباح تنتظر.

وفي السابعة سمعت الباب يدق. وانخلع قلبها.

(أدخل).

وفتح الباب ودخل مستر تومسون. وحملقت مسز بيترز في وجهه. خانتها الكلمات من هول احساسها بالفاجعة التي توقعتها. لكن عندما تكلم كان صوته طبيعيا وهادئا وحنونا.

(أسعدت صباحا يا مسز بيترز).

(أنت كيف تجرؤ؟ كيف تجرؤ؟)

(أرجوك أن تغفري لي هذه الزيارة غير المناسبة في هذا الوقت المبكر. لكنها زيارة عمل لابد أن أقوم بها).

وانحنت نحوه مسز بيترز وعيناها تقدحان شررا:

(اذن انت الذي اختطفت ابني. لم يكن هناك لصوص علي الاطلاق).

(بالتأكيد لم يكن هناك لصوص. كانت هذه حيلة لا تنطلي أبدا علي أحد).

وصاحت مسز بيترز بغضب: (أين ابني؟)

(واقف خارج الباب). ودخل الابن. ذقنه غير حليق وخدوده غائرة. واندفعت أمه نحوه تحتويه بين ذراعيها. وبعد فترة استدارت نحو الرجل.

(مهما يكن فسوف أبلغ البوليس عنك. سوف أسلط عليك القانون).

قال ويلارد: (أنت مخطئة يا أمي. هذا الرجل هو الذي أنقذني). (وأين كنت أنت).

(في منزل فوق الصخرة. يبعد حوالي ميل من هنا).

وقال تومسون: (واسمحي لي يا مسز بيترز أن أعيد ممتلكاتك اليك). وناولها لفافة ما أن فتحتها حتي وجدت العقد.

(ولا داعي لان تحتفظي بالكيس الآخر. هذا هو العقد أو اللآليء الحقيقية. أما الكيس ففيه الأحجار المقلدة. فان أريستوبولس فنان ماهر كما قال صديقك).

(اني لا أستطيع أن أفهم شيئا مما يحدث). (حاولي أن تنظري الي الامر من ناحيتي أنا. أثار انتباهي استخدام اسم معين فأخذت اتتبعك انت وصديقك البدين واستمعت إلى حديثكم الشيق. ووجدت الامر جديرا بالاهتمام لدرجة اني سررت به الي مدير الفندق. فأخذ مذكرة برقم التليفون الذي طلبه صديقك.

ثم طلب من أحد الخدم أن يتسمع الي حديثكم في قاعة الطعام.

(وتكشف كل شيء. كنت ضحية لاثنين من لصوص المجوهرات العتاة. كانا يعرفان كل شيء عن العقد تتبعاك الي هنا واختطفا ابنك ثم كتبا الرسالة المضحكة وبعدها دبرا الامر بحيث تضعين ثقتك كلها في الرأس المدبر للعملية. (ثم كان كل شيء سهلا بعد ذلك. يسلمك السيد المحترم كيسا يحوي لآليء مقلدة ويهرب مع رفيقه. وفي الصباح عندما لا يظهر ابنك يستبد بك الفزع. وغياب صديقك يجعلك تعتقدين انهم اختطفوه هو الآخر. أعتقد انهم قد بنوا خطتهم علي ان يذهب أحد الي الفيللا غدا حيث يعثر علي ابنك. والي أن تصلا الي الحقيقة يكون

اللصان قد ابتعدا بما فيه الكفاية).

(والآن؟)

(الآن مقبوض عليهما. لقد دبرت ذلك أيضا).

(ياله من وغد. سافل وحقير).

ووافقها مستر تومسون: (رجل غير مهذب علي الاطلاق).

وقال ويلارد باعجاب: (لا يمكنني أن أفهم كيف توصلت اليهم. منتهي الذكاء).

(أبدا. عندما يسافر المرء وهو متخف ثم يسمع اسمه...)

وقاطعته مسز بيترز: (من انت؟).

(أنا مستر باركر باين الحقيقي).

